مجلة شهرية

نـــور المسيح يسوع ربنا ومخلصنا
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

عدد: 72 Issue No:
آب 2013 August

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

رقاد سيدتنا والدة الاله الفائقة القداسة والدائمة البتولية مريم وانتقالها إلى السماء

إنّ والدة الإله الوسيطة التي لا تغفل في الشفاعة. والرجاء الوطيد الذي لا يخيبُ في الحماية، لم يضبطها قبرٌ ولا موت. بل إذ كانت أمَ الحياةِ نقلها إلى الحياة ابنها، الذي حلّ في مستودعها الدائم البكارة.

محتويات العدد

2	طعامنا في الهجرة
3	كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث
4	صلاة القديسين من أجلنا
5	من أجل حبّ الله القديس إسحق السرياني
6	إيليا النبي القديس يوحنا الذهبي الفم
7	إعتذر... أين الضمير
8	عظة التجلي - القديس غريغوريوس پالاماس
11	الأسقف والامبراطور
12	خالق الشرّ - الذهبي الفم
15	من الميتولوجيا اليونانية
16	العظات ١٨ لطالبي العماد القديس كيرلّس الأورشليمي
18	رقاد السيّدة ، والدة الإله
20	الأرثوذكسيّة قانون إيمان لكل العصور
21	النخيل
22	العهد القديم (٥٦)
22	الأم استاذ الأساتذة
23	نابليون والجندي

توزع هذه المجلة مجاناً

جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي

(الجليل الجنوبي) ص. ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١

تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة

حساب رقم : 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

ترتيب وتحضير : هشام ميخائيل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

طعامنا في الهجرة

إنّ طائر (الخطّاف) البحري الذي يسكن المنطقة المتجمدة الشمالية يعتبر أكثر الطيور المهاجرة لفتاً للنظر.

فمدى طيرانه ، يمتد من أقصى شمال الكرة الأرضية إلى أقصى جنوب الكرة الأرضية. ثم يعود هذه الرحلة الطويلة مرة أخرى.

وهذا الطائر يتابع النّور ، فهو يبرح الأراضي الشمالية عندما تلوح أولى بوادر الشتاء مخترقاً المحيط الهادي الفسيح. ليصل إلى المنطقة المتجمّدة الجنوبية في أوائل فصل الصيف هناك.

وهو يطير مسافة تبلغ (٣٥ ألف كيلومتراً)في السنة. ويستغرق هذا الطائر الصغير سبعة شهور من كل سنة محلقاً في الهواء. فهو يطير هذه الآلاف من الأميال تحت أشعة الشمس التي تغمر أجنحته الرقيقة.

في أثناء طيرانه عندما يجوع يخفض منقاره أسفل ، ويضم جناحيه إلى جسمه ويغوص في مياه المحيط ، غوصة سريعة كالسهم ليخطف سمكة ويبتلعها في أثناء عودته إلى الجو.

أخي الحبيب

إننا ونحن في طريق العودة إلى الوطن السماوي بعد أن نقلنا اللّه من الشمال إلى اليمين (الجنوب) بالفداء الذي تمّ على الصليب والذي جعله لنا معبراً إلى السماء. والذي به نقلنا من الجانب الأيسر المرذول إلى الجانب الأيمن المحبوب. من جانب الخطية إلى جانب البَرَكة.

ونحن في غربة هذا العالم لابدّ لنا أن نسلك في النور. وأن نتابع مسيحنا نور العالم أينما ذهب. نسير على أثر خطواته. فلنرفع أجنحة كالنسور ونحلّق في السماويات ونتأمل في كل ما هو يرفع نفوسنا ويسمو بها عن أباطيل العالم.

وحينئذ ستغمرنا أشعة شمس البرّ .

حقّاً إنها رحلة شاقة في بحر هذا العالم ، لذلك نحتاج فيها إلى قوةٍ تسندنا.

نحتاج إلى قوت الحياة وزاد الراحلين (جسد الرب ودمه). فلنتغذى على السمكة .. أتعرف ما هي السمكة؟

+ إن كلمة سمكة باللغة اليونانية (إخثيس) وحروفها تمثل بدايات الكلمات اليونانية التي تعني باللغة العربية (يسوع المسيح ابن اللّه مخلصنا). . أي إنّ كلمة سمكة ترمز للسيّد المسيح.

+ والسمكة هي طعام البَرَكة. فقد بارك السيد المسيح الخمس خبزات والسمكتين (مت١٤:١٩).

+ والسمكة هي طعام القيامة فقد أكل السيد المسيح سمك وعسل بعد القيامة (لو٢٤:٤٢).

+ والسمكة ترمز للطهارة لأن طريقة التناسل بدون شهوة.

+ والسمكة ترمز للتلاميذ الذين تحولوا من صيادين سمك إلى صيادي الناس.

+ والسمكة هي علامة الحياة . ذلك لأن الأسماك مشهورة بأنها كثيرة الإخصاب. وأن اللّه أعطاها بَرَكة لتحافظ على جنسها. لذلك شبّه الآباء المسيحيّة بالأسماك سريعة الإنتشار ، وأنها لا يمكن أن تفنى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها.

+ والمسيحيون الأوائل كانوا يتعارفون على بعض برمز السمكة أثناء الإضطهادات وكانت السمكة شعاراً لهم.

+ والسمكة ترمز للرب يسوع نفسه بصفته الحيّ الذي لا يموت. فهي مدفونة في قبر مائي ومع ذلك فهي حيّة. رمزٌ للرب يسوع الحيّ داخل القبر المغلق. «لماذا تطلبن الحيّ بين الأموات» (لو٢٤:٥). لذلك كانوا يطلقون قديماً على الرب يسوع نفسه لقب (السمكة الكبيرة).

+ والسمكة تسبح ضدّ التيار.

يقول القديس إكليمنضوس: ﴿إنّ المسيحيين كانوا يرسمون صورة السمكة على الخواتم إشارة إلى مياه المعموديّة التي كسبوا بها الحياة، كما يكسب السمك الحياة بالماء﴾.

وهكذا أنت أيها الحبيب إذا تغذيت على السمكة وتناولت جسد الرب ودمه سيقويك ويساعدك على السباحة ضدّ تيار العالم في رحلة العودة إلى السماء.وكما يقول القديس بولس الرسول:

«لكن ما كان لي ربحاً، فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة. بل إني أحسب كلّ شيء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي، الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح» (فيلبي ٣ :٧-٨) .

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدسة أورشليم
كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث
بمناسبة العيد الحافل للرسل الأطهار

«يا بطرس وبولس محارثَي الحكمة، حكمة اللّه. واندراوس ويعقوب ويوحنا الحكيم. وبرثلماوس وفيلبُّس وتوما. ومتَّى وسيمُن ويهوذا. ويعقوب الالهيّ. يا زمرة التلاميذ الاثني عشر الكليّي الاكرام. الذين انبثّوا في كلّ العالم فكرزوا فيه بالثالوث القدّوس انَّه الهٌ ازليّ بالطبع. يا ابراج الكنيسة الراسخة واعمدتها التي حقّاً لا تتزعزع. ابتهلوا الى سيّد الكلّ من اجل نفوسنا» .

أيها الأخوة الأحباء بالمسيح.
أيها المسيحيون الحسنيّ العبادة .

الثالوث الكليّ القداسة ، اللّه السرمدي بطبيعته غير المدركة ، جمعنا كلّنا اليوم ، في هذا المكان المقدس ، حيث التقى السيّد المسيح بعد قيامته المجيدة بسبعة من تلاميذه على شاطىء بحيرة طبريا. «بعد هذا أظهر أيضاً يسوع نفسه للتلاميذ على بحر طبرية». (يو٢١:١). «ولما كان الصبح وقف يسوع على الشاطىء، ولكن التلاميذ لم يكونوا يعلمون أنه يسوع» (يو٢١ :٤).

في هذا اليوم المبارك ، ألا وهو عيد الرسل الأطهار الأثني عشر ، جمعنا الثالوث القدوس لتتميم شعائرَ الإحتفال ، وكما هو متداولٌ ، فإنّ هذا العيدَ هو امتدادٌ لعيد القديسَيْن بطرس وبولس العظيمين في كراسي الرسل ، وذلك لأنّ أنبياءَ العهد القديم ، والرسل القديسين في العهد الجديد ، يؤلّفون سويّةً حجرَ الكنيسة الأساسيّ ، والمسيح هو حجرُ الزاوية الذي يربط ما بين العهدَين القديم والجديد، كما يقول الرسول بولس. «مبنيين على أساس الرسل والانبياء ، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية الذي فيه كل البناء مركباً معاً ، ينمو هيكلاً مقدساً في الرب» (أفس٢:٢٠-٢١) .

إنّ الصيّادين حكماء المسكونة ، أي الرسل القديسين ، قد دعاهم الروح القدس ، روح المسيح لتولّي سدّة الرسوليّة ، لتتميم عمل الكرازة ، كما يقول مرنّم الكنيسة:

«إن النورالمشرق قبلاً من النور خلواً من زمان قد ظهر متجسّداً في زمان للذين على الأرض. وأنارَ العالمَ بكُم يا كلّيّي الغبطة. لذلك نحتفلُ نحن كلُّنا المستنيرون بتعاليمكم الألهيّة مكرّمين تذكاركم أيها الرسل».

بكلام آخر أيها الأخوة الأحباء:

«النور المشرق قبلاً من النور خلواً من زمان قد ظهر متجسّدا» ، ما هذا إلاّ كلمةُ اللّه يسوع المسيح الذي أعطى سلطاناً لتلاميذه الرسل الأطهار ، كما يشهدُ بذلك الإنجيليّ متى: «ثم دعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يُخرجوها ، ويشفوا كلَّ مرضٍ وكل ضعفٍ» (متى١٠ :١).

الرسل الذين اختارَهم اللّهُ ، وجدوا في شخص يسوع الناصريّ الوسيط بين اللّه والناس ، لهذا السبب التصقوا به وأصبحوا تلاميذاً لكلمة اللّه المتأنّس ؛ حيث كرزوا بأن كلمة اللّه هو إلهٌ كامل ، وإنسانٌ كامل ، قد دخل في العالم ، كما أوصاهم منذ البدء.

لهذا أصبح جليّاً أن الرسلَ القديسين المختارين من اللّه ، هم الضمانُ للتعليم الصحيح ، أي إيمان الكنيسة الخلاصيّ ضد تعاليم الرسل الكذبة المدعوّين من ذاتهم.

لنرى ما ينوّه به بولس الإلهيّ بالنسبة للأخلاق والمواقف الروحيّة لأساقفة الكنيسة الذين يحفظون الخلافة الرسوليّة فيها بالروح القدس. «لأنه يجب أن يكونَ الاسقفُ بلا لوم كمدبّر للّه ... ملازماً للكلمة الصادقة التي بحسب التعليم ، لكي يكونَ قادراً أن يَعِظ بالتعليم الصحيح ويوبّخ المناقضين» (تيطس١:٧-٩).

إنّ مؤسّسة الكنيسة محفوظةٌ بالروح القدس ، الذي حلَّ على كل واحد من رُسل وتلاميذ المسيح في عليّة صهيون يوم العنصرة. (أعمال ٢:١)، «فيها يكمُن أساسٌ ثابتٌ غير متزعزع للتعاليمَ والتقاليدَ الرسوليّة التي تعلمتموها سواء كان بالكلام أم برسالتنا» (٢تسالونيكي٢:١٥).

هذه التعاليم والتقاليد المميّزة ، التي تحافظ عليها الكنيسة وتسير بموجبها ، مدوّنةٌ بطريقة واضحة وَمُعْلَنَةٌ لِلْمَلأ في دستور الإيمان النيقاوي ، الذي أعلنه أساقفةُ الكنيسة في المجمع الأول المسكوني في مدينة نيقية ... «أومن ... بكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسوليّة ...».

أما معلمُ المسكونة القديسُ يوحنا الذهبي الفم يشيرُ لمعنى إستحقاق الرسوليّة فيقولُ: «النبيُ هو الرئيسُ ... الراعي

والمعلم هو الرئيس الروحي ، لكن بالنسبة لكل هؤلاء جميعاً ، فأكبرُ رئاسةٍ هي الرئاسةُ الرسوليّةُ».

هلمّ ايها الأخوةُ الاحباء ، نرى كنيسة المسيح تعطي معنىً خاصّاً لعيد وتذكار الرسل الأثني عشر الأطهار ، حيث نقيمُ هذا التذكار الحافل في هذا المكان قربَ شاطىء البحر، حيث عَمِلَ الرسلُ كصيّادينَ.

نتضرّعُ إلى اللّه ومخلّصنا يسوع المسيح ومع المرنم قائلين:«لمّا أهلّتني بإفراط محبّتك للبشر وغزارة صلاحك. للحضور إليَّ انا الانسان واتّخاذ الجسد. يا مخلّصي ، النور الذي قبل الدهور. حينئذ اظهرتَ تلاميذَك الرسل انواراً ثانوية. يتلألأون ببرق بهائكَ. وارسلتهم ينيرون الخليقة كلَّها بنورك الالهيّ. ويبتهلون اليك ان تنير وتخلّص نفوسنا.»

وكل عام وانتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

صلاة القديسين من أجلنا - القديس يوحنا الذهبي الفم

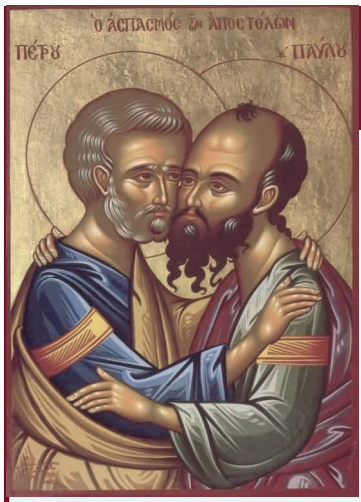

يحسن بنا الاعتماد على صلاة قديسي اللّه حتى ولو كنا نشيطين بتتميم الواجب. ربما تقول: ما الحاجة إلى صلاة الآخرين، إذا كنت أتمم واجباتي بنشاط؟ فأنا لست بحاجة إليها! لم يقل القديس بولس الرسول: لا حاجة إلى صلاة الآخرين، مع أنّ الذين صلوا لأجله لا يضاهونه بشيء. فكيف تقول أنت ما حاجتي إلى صلاة الآخرين عني؟ والقديس بطرس الرسول لم يقل ما الحاجة إلى هذه الصلاة، بل قيل: «وكانت الكنيسة تصلي إلى اللّه من أجله بلا انقطاع» (أعمال ١٢:٥)، وأنت تقول ما الحاجة إلى صلاة الآخرين؟ إنها تلزم، وخاصة أنك لا تعترف بالحاجة إليها. إنك في حاجة إلى صلاة الآخرين، ولو كنت معادلاً للرسل المقدَّمين على غيرهم.

إنني أكرر أنّ صلاة الغير من أجلنا نافعة لنا إذا كنا نتعب بتأدية واجباتنا. أمَا شهد رسول المسيح بقوله: «لأني أعلم أن هذا يؤول إلى خلاصي بصلاتكم وبإعانة روح يسوع المسيح» (فيلبي١:١٩) ، «والذي ينقذنا الآن بمعونة دعائكم لنا حتى أن كثيرين يودون الشكر على الموهبة» (٢كور١:١٠-١١)، ولكن لا أحد يستطيع أن يساعدنا بصلواته إذا كنا متهاملين. فما الفائدة التي حصل عليها النبي ارميا لليهود؟ ألم يصرخ إلى اللّه ثلاثاً ويسمع ثلاثاً: «وأنت فلا تُصَلِّ عن هذا الشعب ولا ترفع صراخاً ولا صلاة لأجلهم ولا تشفع إليّ فإني لا أسمع لك» (ار ٧:١٦)، وما المنفعة التي قدّمها النبي صموئيل للإسرائيليين؟ ألم يهلكوا جميعاً غير ناظرين إلى نبي اللّه الذي شهد عن نفسه: «وأما أنا فحاشا لي أن أخطأ إلى الرب وأترك الصلاة من أجلكم» (١صم١٢:٢٣)، لذلك يجب أن نعلم أن صلاة الآخرين من أجلنا تعود علينا بالنفع العظيم إذا قمنا بواجبات الصلاة نحن أيضاً. إن الصلاة تعمل وتساعد من يتمّم واجباته، أما إذا كان متكاسلاً فلا تعود عليه بفائدة. ألم يُصَلِّ القديس بولس الرسول من أجل العالم بأسره؟ ألم نُصَلِّ نحن من أجل خلاص الجميع؟ فلماذا لا يصير الأشرار أبراراً؟ لأنهم لا يهتمّون لنفوسهم! فالصلاة من أجلنا تفيدنا إذا أتممنا ما يجب علينا.

أتريد أن تعرف أيها المسيحي كيف تكون الصلاة نافعة لنا؟ اسمع ما يقول يعقوب للابان:«ولولا أن إله أبي إبراهيم ومهابة إسحق معي لكنت سرّحتني فارغاً» (تك٣١:٤٢)، واسمع أيضاً ما قال الرب الإله: «فأحمي هذه المدينة وأخلّصها من أجلي ومن أجل داود عبدي» (٤ملوك ١٩:٣٤)، لكن متى يكون هذا؟ كان بواسطة حزقيا الذي كان صدّيقاً. ولكن إذا كان للصلاة قوة أثناء الشدائد العظيمة، لماذا أسلم الرب المدينة إلى نبوخذنصر عند هجوم البابليين؟ لأن الفساد ازداد في تلك الأيام، وهكذا النبي صموئيل من أجل الإسرائيليين، نجح لما أرضى الإسرائيليون العلي. وربما تقول ما الحاجة إلى صلاة الآخرين من اجلك إذا كنت عائشاً في طاعة اللّه ؟ هذا لا يجوز لك قوله مطلقاً بل اسمع ما قاله السيد الرب عن أصحاب أيوب: «إن عبدي أيوب يصلّي من أجلكم فنترك لكم خطاياكم» (أي٤٢ :٨) لأنهم قد خطئوا ولكن خطيئتهم لم تكن عظيمة، وهذا الصديق نفسه الذي خلّص أصدقاءه لم يقدر أن ينقذ اليهود من الهلاك لأن «إثمهم كان عظيماً» (حز١٤:١٤).

وقد قال السيد الرب بواسطة أنبيائه: «ولو كان فيها هؤلاء الرجال الثلاثة نوح ودانيال وأيوب أنهم لا ينقذون لها بنين ولا بنات والأرض تصير مستوحشة» (حزقيال١٤:١٥)، «ولو أن موسى وصموئيل وقفا أمامي لما توجّهت نفسي إلى هذا الشعب» (ارميا١٥:١)، وعندما صرخ النبي حزقيال: «آه أيها السيد، أتهلك جميع بقية اسرائيل» عرّفه الرب أن عدم مساعدته للإسرائيليين لم تكن له لأنه توسط لهم بل، «لأن إثم اسرائيل ويهوذا عظيم جداً» (حز٩:٨-٩).

فبتذكّرنا أيها الأحباء كلّ هذا يجب ألا نحتقر صلاة القديسين أو نعتمد عليها وحدها، بل لنحافظ على الشرط الثاني أي ألا نتكاسل، ونصرف حياتنا في البطالة، حتى لا نُحرم من الخيرات العظيمة. لنسأل سكان السماء القديسين أن يساعدونا بصلواتهم لنقضي حياتنا في الصلاح حتى نحصل على الملكوت الأبدي، آمين

من أجل حب الله - القديس اسحق السرياني

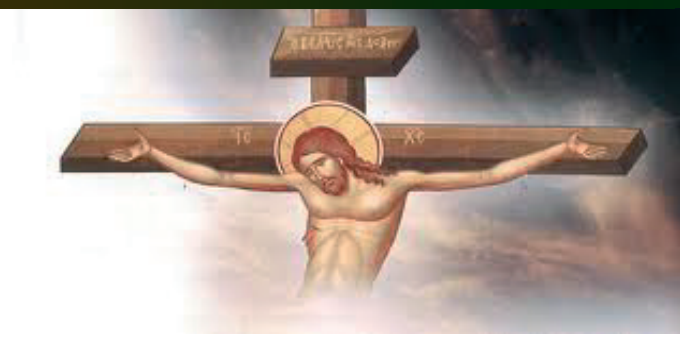

كلُّ إنسان تدبيرُه رديءٌ حياةُ هذا العالم عنده شهيةٌ, وَيَلي ذلك قليلُ المعرفة. حقاً لقد قيل إن مخافةَ الموتَ تُرعب الرجلَ الناقصَ، أما الذي له في نفسه شهادةٌ صالحةٌ فإنه يشتهي الموتَ كالحياة. لا يُعتبر عندك حكيماً ذاك الذي من أجلِ حياةِ هذا العالمِ يستعبدُه فكرُه للأرضيات.

كلُّ الملذات والشرور التي تعرضُ للجسد لتكن عندك شبهَ الأحلام، لأنه ليس بموت الجسد فقط تنحلُّ منها بل كثيراً ما يمكنك رفضها والهروب منها قبل الموت. فإن كان لك منها شيءٌ مشتركٌ في نفسك فاعلم أنه مكنوزٌ لك إلى الأبد، لأنها تذهبُ معك إلى العالم العتيد فإن كان ما اكتنزتَه من الطالحات الرديئات فاحزن وتنهد واطلب الابتعادَ عنها ما دمتَ في الجسد.

ليكن معلوماً عندك أن كلَّ خير لن يكونَ مقبولاً إلا إذا عُمل في الخفاء. بالحقيقة إن المعموديةَ والإيمانَ هما أساسُ كلِّ خير، فبهما دُعيتَ ليسوعَ المسيح بالأعمال الصالحة.

شُكر الذي يأخذُ يحرِّكُ الذي يعطي إلى بذل العطايا التي هي أعظمُ من الأوائل. مَن لا يشكرُ على القليل فهو كاذبٌ وظالمٌ إن قال إنه يشكرُ على الكثير.

المريضُ الذي يعترفُ بمرضه شفاؤه هيِّن. كذلك الذي يُقرُّ بأوجاعه فهو قريبٌ من البَرْء. أمَا القلبُ القاسي فتكثُر أوجاعُه. والمريضُ الذي يُخالفُ الطبيبَ يَزيدُ عذابُه.

ليست خطيةٌ بلا مغفرة إلا التي بلا توبة. وليست موهبةٌ بلا نمو وازدياد إلا التي ينقصها الشكرُ.الجاهلُ جزاؤه دائماً في عينيه صغيرٌ. تذكَّر الذين هم أعلى منك في الصلاح كي ما تَحسب نفسَك ناقصاً بالنسبة لهم. تأمَّل دائماً في البلايا الصعبة وفي الذين هم في شدة ومذلَّة، وبهذا التأمُّل يمكنك أن تقدمَ الشكرَ إزاء البلايا الصغيرةَ التي تَنتابُك، وحينئذ تستطيع أن تصبرَ عليها بفرح. في الوقت الذي تكون مغلوباً مقهوراً وفي ملل وكسل، وقد قيَّدك عدوك بسماجة فعل الخطية، اذكر الأوقاتَ القديمةَ التي فيها تنشطَّت، وكيف كنتَ مهتماً حتى بصغائر الأمور، وكيف كنتَ تتحرك بالغيرة على الذين يعوِّقون مصيرَك.

تنهَّد على أقل شيء فاتك من عمل الفضائل. وكذلك اذكر كيف كنتَ تحظى بإكليل الغلبة على الأعداء. فبمثل هذه التذكارات تتيقَّظ نفسُك كمثل مَن في نومٍ عميقٍ وتلبس حرارةَ الغيرة. وكمثل مَن في الموت تقومُ النفسُ من سقطتها وتَصلُبُ ذاتَها كي تعودَ إلى طقسها الأولَ بالجهاد الحار قبالة الشيطان والخطية.

اذكر كيف سقطَ الأقوياءُ لكي ما تتَّضع بصلاحك. اذكر عظمَ خطايا القدماء الذين سقطوا ثم تابوا ومقدار الشرف والكرامة اللذين نالوهما من التوبة بعد ذلك لكي ما تتعزى في توبتك. كن مضيِّقاً على نفسك ومحزناً لها لكي ما يُطرَد العدوّ من أمامك.

اصطلح أنت مع نفسك فتصطلح معك السماءُ والأرضُ.

محبُ الصلاح هو الذي يحتملُ البلايا بفرح. استر على الخاطئ من غير أن تَنْفر منه لكي ما تحملك رحمةُ الربِّ. اسند الضعفاء وعزِّ صغيري النفوس كي ما تسندَك اليمينُ التي تحملُ الكلَّ. شارك الحزانى بتوجع قلبك كي يُفتح بابُ الرحمة لصلاتك. دع الصغارَ تنال الكبارَ.

كن ميتاً بالحياة لا حيّاً بالموت. لا تطلب الأمورَ الحقيرةَ من العظيم القادر على كلِّ شيء لئلا تهينَه. اسأل المواهبَ الكريمةَ من اللّه فيُنعم عليك بها. لقد سأل سليمان من اللّه الحكمةَ فأعطاه معها الغنى ودوامَ السلامة، وسأل إسرائيل الحقيرات فرُذل لأنه ترك تمجيدَ عجائب اللّه وطلب شهوةَ بطنه، وإذ الطعامُ في أفواههم أتى رجزُ اللّه عليهم كما هو مكتوبٌ. اطلب من اللّه ما يلائم مجدَه لتكونَ كريماً عنده، ولا تسأل الأرضيات من السمائي فقد كُتب اطلبوا ملكوتَ اللّه وبرَّه وهذا كلُّه تزدادونه.

لا تسأل أن تجري الأمورُ حسب هواك لأنه أعرف منك بالأصلح لك.لا تكره الشدائدَ فباحتمالها تنال الكرامةَ وبها تقترب إلى اللّه، لأن النياحَ الإلهي كائنٌ داخلها. قبل البلايا يُصلِّي الإنسانُ للّه كغريب، فإذا قبلها من أجل حب اللّه، حينئذ يصيرُ من أحبائه وخواصه المحاربين لعدوه حباً في رضاه، ويُصبح كمن وجب حقَهُ عليه.

توكَّل على اللّه وسلِّم نفسَك له وادخل من الباب الضيق وسر في الطريق الكربة. فذاك الذي كان مع يوسف ونجاه من الزانية وجعله شاهداً للعفة، والذي كان مع دانيال في الجبِّ ونجاه من الأسود، والذي كان مع الفتية ونجاهم من أتون النار، والذي كان مع إرميا وأصعده من جبِّ الحمأة، والذي كان مع بطرس وأخرجه من السجن، والذي كان مع بولس وخلَّصه من مجامع اليهود. . . وبالجملة فإن الذي كان في كلِّ زمان وفي كلِّ مكان مع عبيده في شدائدهم ونجاهم وأظهر فيهم قوَّته، هو يكونُ معك ويحفظك. فخذ لك يا حبيب غيرةَ الأنبياء والرسل والشهداء والقديسين قبالة الأعداء الخفيين، واقتفِ غيرةَ الذين ثبتوا قائمين في النواميس الإلهية، فطرحوا الدنيا وأجسادَهم إلى ورائهم وتمسكوا بالحقِّ فلم يُهزموا في الشدائد التي انتابتهم في أنفسهم وأجسادهم، إذ فازوا بالقوة الإلهية وكُتبوا في سفر الحياة، وأُعدت لهم ملكوتُ السماوات التي نؤهَّل لها كلُّنا برأفته وتحننه تعالى. له المجد إلى الأبد، آمين .

عظة في النبي إيليا
للقديس يوحنا الذهبي الفم

إيليا النبي الملاك الأرضي والإنسان السماوي الفقير والغني. فقيرٌ لأنه لا يملك شيئاً وغني لأن غيوم المطر يملكها في لسانه. كان كلامه قاطعاً تجاه الخطأة عندما صلى حتى لا يكون مطرٌ. ماذا قال؟

«حيٌّ الرب الذي أنا واقفٌ أمامه إنه لا يكون على الأرض ندى ولا مطر إلا عند قولي» (٣ملوك١٧:١).

ماذا تصنع يا إيليا؟ أتعتقد أنك تصلي إلى السيّد وهو يتمّم قولك؟ هو لا يصلي ولا يتوسل بل يعرض قولاً حقاً فيقفل ميازيب السماء.

لقد فعل إيليا كل ذلك عن حماس وغيرة. كان يرى الزنى يسلك مع كل شرّ والظلام يظلّل المسكونة كلها. الفضيلة تُطرد والرذيلة تُقبل. فتدنست الجبال والسهول، الأرض والهواء ودخل مرض الصنميّة في الخليقة كلها. الإنسان **يلطخ الطبيعة يلوث البيئة**. يرون خشبة فيظنونها إلهاً. إيليا وحده يمسك على التقوى ومصباحاً يجلس على جبل فلسفة الفضيلة ناسكاً.

كان النبي إيليا يتألم، ويوبخ لا أحد يسمع. خرج صوته وللحال جفت الأرض. وأخذ الأولاد يبكون من الجوع والأمهات يتحسرون والحيوانات تموت من انتفاء المياه. ماذا قال اللّه له؟

«امض من هنا وتوجه شرقاً وتوارَ عند نهر كريت الذي تجاه الأردن فتشرب من النهر وقد أمرتُ الغربان أن تقوتك هناك» (٣ملوك ١٧:٣-٤).

إن الغراب حسب الناموس معتبر غير طاهر وكيف يقوت النبي طيرٌ غير طاهر؟ لكن ما حلّله الرب من خليقته ليغذي به أنبياءه لا يعود دنساً. ثم ماذا حصل؟ «كان بعد أيام أن جف النهر» فقال له الرب:

«امض إلى صرفت من أعمال صيدون فقد أمرتُ هناك امرأة أن تقوتك» (٣ملوك١٧:٩).

لقد أمره اللّه بسلوك الطريق الطويل لا ليطعمه فقط بل ليجعله أيضاً يشعر بالجوع وبمأساة الشعب. فيعود ويتحنن عليهم ويرسل لهم مطراً من جديد.

وصل إيليا إلى صرفت صيدا «فإذا هناك أرملة تجمع حطباً. فدعاها وقال: هاتي لي قليل ماء لأشرب وهاتي لي كسرةَ خبز لآكل» (٣ملوك ١٧:١٠-١١).

الماء أولاً ثم الخبز. «وقال لها إيليا **لا تخافي**. ادخلي واصنعي كما قُلت. إن جرة الدقيق لا تفرغ وقارورة الزيت لا تنقص إلى اليوم الذي فيه يرسل الرب مطراً على وجه الأرض» (٣ملوك ١٧:١٣-١٤).

ماذا تصنع يا إيليا. تريد أن تأكل خبزاً وحدك والأولاد يجوعون؟ لماذا لا تنتظر وتشكر اللّه لكي تأكل مع الأولاد وتفرح بازدياد؟ يجيب أنا لا أريد موت الأولاد بل أودّ أن أحسن إليهم من فيض محبة السيّد للبشر.

لكن الأرملة لم تضطرب ولم تقل أنت الذي حبس المطر وسبّبتَ الجوع وتريد أن تغتذي؟ بل على العكس كامرأة **ابراهيمية مضيفة للغرباء ذهبت وعملت بأمر النبي**. كان ابراهيم غنياً فأضاف ملائكة. أما هنا فالمرأة فقيرة جائعة فأضافت النبي. ازدرت بالطبيعة وكرّمت الغرباء. فحصل حسب نيتها وإيمانها بمحبة اللّه للبشر. عاشت هي وولدها.

أنا من جهتي لا أعرف كيف أمدحها بعد كل ما عملته. كيف أهملت ابنها واهتمت بالضيف...

وكي أختصر الكلام ذهب النبي بعدها إلى آخاب ملك إسرائيل. ماذا قال الملك؟

«أأنت إيليا مقلق إسرائيل؟ فقال له لم أقلق إسرائيل أنا بل أنت وبيت أبيك بتركككم وصايا الرب واقتفائكم البعليم» (٣ملوك ١٧:١٨ - ١٨). ألاحظتَ دالة النبي وشجاعته؟ كيف يوبخ الملوك؟

ثم طلب من الملك أن يجمع أنبياء البعل وعددهم ٤٥٠ وأنبياء عشتروت ٤٠٠ وقال فليؤت لنا بثورين فيختاروا لهم ثوراً ثم

يقطعوه ويجعلوه على الحطب ولا يضعوا ناراً. أنا أيضاً كذلك. ثم تدعون أنتم باسم آلهتكم وأنا أدعو باسم الرب والذي يُجيب بنار فهو الإله؟ (٣ملوك١٨:٢٣-٢٤).

وهكذا صار فلم يجبهم أحد. فسخر منهم النبي. ثم بنى مذبحاً للرب ووضع الحطب والثور المقطع وقال املأوا أربع جرار ماءً وصبوا على المحرقة ثم قال ثنوا ثم ثلثوا وصلى هكذا: «أيها الرب إله ابراهيم واسحق وإسرائيل. استجبني يا رب استجبني. ليعلم هذا الشعب أنك أنت الإله. فهبطت نارُ الرب وأكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب.» (راجع الإصحاح كله ٣ملوك ١٨ وكيف قتل أنبياء البعل).

سمعت إيزابيل امرأة آخاب ما صنعه إيليا فغضبت وقالت له: «سوف أجعل نفسك في مثل الساعة من غد كنفس واحد من الأنبياء الذين قتلتهم» (٣ملوك١٩:٢)، فخافَ إيليا وهربَ من وجه الملكة.

ماذا فعلتَ يا إيليا؟ أنت تقفل السماء وتُنزل النار على المحرقة. كل ذلك بكلمتك وتوبخ الملوك وعندما تسمع كلام الملكة الزانية تهرب؟ أين حماسك وغيرتك، أين شجاعتك؟ لقد كنتَ وسيطاً لحبس المطر ولمجيء الشرور لتصير مبدأ للخيرات لأن اللّه المحب البشر عندما يرى المأساة يتحنن ويرحم.

كم هي حكمة اللّه الجزيلة. يؤدب ويرحم، يجرح ويعصب، لقد خاف مرة بطرس المتقدم في الرسل من فتاة جارية وهنا العظيم إيليا يخاف من امرأة زانية. يريد اللّه من كل ذلك **أن العجيبة هي من صنع قوته لا من عمل وجهاد البشر. عندما تغيب النعمة تُوبَّخ الطبيعة.**

بعد أن سار إيليا أربعين يوماً وصل إلى جبل حوريب ودخل مغارة وبات فيها. فقال الرب له: ما بالك هاهنا يا إيليا؟ أجاب:

«إني غرتُ غيرة للرب إله الجنود لأن بني إسرائيل قد نبذوا عهدك وقوضوا مذابحك وبقيت أنا وحدي وقد طلبوا نفسي ليأخذوها» (٣ملوك ١٩:٩-١٠).

تغضب الملكة فيخاف النبي ويهرب أربعين يوماً في البرية. يخطئ قليلاً ويؤدّب كثيراً فيظهر عمل النعمة وتفيض محبة اللّه للبشر.

لقد أهل النبي بعد هذه التجارب لرؤية اللّه لا في الريح بل بعده، لا في الزلزلة بل بعدها لا في النار بل بعدها، في صوت نسيم لطيف وهناك كان الرب (٣ملوك١٩:١١-١٢).

إذاً عندما تُخطئون لا تيأسوا من خلاصكم ومن رجاء الرب هذا إذا كنتم صدّيقين. لقد ظهرت فضائل النبي الكثيرة وكذلك خطاياه فأبرزت نعمة اللّه الغزيرة له وللشعب.

عندما تقرأ الكتب تثبت في الصدق والعدل متذكراً ملكوت السماوات الذي ينتظرك مع الخيرات التي أعدها اللّه للذين يحبونه له المجد الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين.

يحكى أنّ راهب لعب الشيطان بقلبه فاستعبده ، شاعت مفاسده حتى ضجّ بها زملاؤه الرهبان فاشتكوا إلى رئيسهم الذي كان يتجول ليلاً بين قلالي الرهبان فيرى الشياطين ترقص على سطح قلايته ، ففكّر في علاج لنفسيّته ، يُقَوّي من روحه المعنويّة ، ويبني من حياته المتداعية ، فكان كل مريض يزور الدير لينال الصلوات من الآباء يحوّله الرئيس إلى ذلك الراهب الشرّير ليصلّي من أجله فيشفى ، وكانت الوفود بكثرتها تأتي زاحفة نحو هذا الراهب الساقط على زعم أنه الراهب الموهوب نعمة الشفاء، وبعد شهور حرّكت النعمة قلبه فاستيقظ ضميره النائم بل المائت ، وأخذ يُناجي نفسه: «يا نفسي الخبيثة ، يا من استطعت أن تخدعي رئيسي فظنّ أنّك قديسة ، فَحَوَّلَ اليك وفود المرضى لأشفيهم ، أيا نفسي المريضة لماذا تظلّين هكذا مريضة ؟ قومي ترجّي اللّه فيخلق منك نفساً بارّة».وفي دموع حارّة ذهب الراهب إلى رئيسه واعترف بكل شيء ونال البرّ والغفران !!

فحذار أيها الأخ من عثرة الضمير ، حذار:

إيّاكَ من فعل القبيح فإنّه
داءٌ عضال ما شفاهُ طبيب
يكفيك توبيخ الضمير لفعله
إنّ الضمير على الفعالِ رقيب

ثم حذار من نوم الضمير أو موته:

فهو كالسهم إذا السهم رمى
وهو كالسيف إذا السيف بَتر
امر ناهٍ وعاص طيّع
وهو الآمر وهو المزدجر
لا ينام العمر إلا ساعة
فترقّبها. وبالغ في الحَذَر
ساعة أن نمت عنها غافلاً
عدت كالمخمور أو كالمحتضر

عظة التجلّي ـ للقديس غريغوريوس پالاماس

الإنجيل

فصلٌ شريف من بشارة القديس متى الإنجيلي البشير التلميذ الطاهر (متى ١٧: ١-٩)

وبعد ستّة أيام، أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاهُ فأصعدهم إلى جبل عالٍ على إنفراد وتجلّى قدّامهم وأضاءَ وجههُ كالشمس وصارتْ ثيابهُ بيضاءَ كالنور * وإذا موسى وإيليَّا تراءَيا لهم يُخاطبانه * فأجاب بطرس وقال ليسوع يا ربُّ حسنٌ أن نكون ههنا. وإن شئتَ فلنصنع ههنا ثلاث مظالَّ واحدةً لك وواحدةً لموسى وواحدةً لإيليَّا * وفيما هو يتكلم إذا سحابةٌ نيّرةٌ قد ظلّلتهم وصوتٌ من السحابة يقول هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررتُ فلهُ اسمعوا * فلمّا سمع التلاميذ سقطوا على أوجههم وخافوا جدّاً * فدنا يسوع إليهم ولمسهم قائلاً قوموا لا تخافوا * فرفعوا أعينهم فلم يروا أحداً إلاّ يسوع وحدهُ * وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم يسوع قائلاً لا تُعلموا أحداً بالرؤيا حتى يقوم ابن البشر من بين الأموات.

١ ـ لقد سبقَ إشعيا أن قال عن الإنجيل: «سوف يُعطي الربُّ على الأرض كلاماً مقتضباً». والكلام الإنجيليّ يتضمّن معانيَ كثيرةً بكلمات قليلة. فلنذكركم بالأقوال السابقة (أنظر عظة إنجيل السَحَر – شهر آب سنة ٢٠٠٧ في جريدة نور المسيح)، ولنضف عليها من ثمّ ما تبقّى ، حتى نشبع من المعاني الباقية غير الفاسدة، ونمتلىء كلّنا من الغيرة الإلهيّة.

٢ ـ وبعد ستّة أيام ، أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه ، فأصعدهم إلى جبل عالٍ على انفراد ، وتجلّى قدّامهم ، وأضاءَ وجهه كالشّمس ، وصارت ثيابه بيضاء كالنّور. (مت١٧: ١-٢).

إنه وقتٌ مؤات أيّها الإخوة ويومُ خلاص. إنّه يومٌ إلهيّ جديدٌ أزليٌّ لا يُقاس بالأبعاد ، ولا يزيد ولا ينقص، ولا يقطعه ليل ، لأنه يوم شمس العدل الّتي ليس فيها تغيير ولا ظلّ دوران (يع١: ١٧). هذه الشّمس الّتي بمسرّة الروح ومؤازرته قد أشرقَتْ علينا لأجل محبّة اللّه للبَشر ، مُخرجةً إيّانا من الظلام إلى نوره العجيب ، والّتي تستمرُّ في إشراقها على رؤوسنا كشمس لا تغرب.

✚ شمس العدل أشرقت

٣ ـ هي شمس العدل والحقّ ، ولذلك لا تحتملُ أن تُشرق للمتعاملين مع الكذب ، الرّافعين من شأن الظلم بأقوالهم ، والمُشيرين إليه بأعمالهم ، ولا أن يعرفوها هم بدقّة ، بل تتراءى

لعمّال العدل وعشّاق الحقيقة ، الذين يؤمنون بها ويبتهجون بأشعّتها. وهذا ما يقوله الكتاب: «نورٌ أشرقَ للصدِّيق، وفرحٌ لمستقيمي القلوب» (مز٩٦: ١١). لذلك يرتلُ النبيّ كاتب المزامير: «ثابور وحرمون باسمك يتهلّلان» (مز٨٨: ١٢)، متكلمين مسبقاً عن البهجة التي تولّدت لدى النّاظرين لاحقاً على الجبل بداعي الإشراق. أمّا أشعيا فيقول: «حُلّ كلّ رباط الظُّلم ،وفُكّ العُقدَ القسريّة. وأطلق المسحوقين أحراراً، واقْطعَ كل عقد ظالمَ» (إش٥٨: ٦). ثمّ ماذا يقول: «حينئذ ينفجرُ مثل الصبح نورك ، وتنبُتُ صحّتُك سريعاً ، ويسير برّك أمامَك ، ومجدَ اللّه بك» (إش٥٨: ٨). وأيضاً: «إنْ نزعتَ من وسطك النير والحركات المخزية وكلامَ الإثم ، وقدَّمتَ للجائع خُبزاً منْ كُلِّ نفسك، وأشبعتَ النَّفسَ الذليلة، حينئذ يُشرقُ في الظلمة نورك، ويصير ظلامُك مثل نصف النهار» (إش٥٨: ٩-١٠). يصبحُ الابرار شموساً أخرى، تستمدُّ نورها من تلك الشّمس الّتي تُشرقُ بكلّ بهائها: «حينئذ يُضيءُ الأبرار كالشّمس في ملكوت أبيهم» (مت١٣: ٤٣).

٤ ـ لنطرح إذاً أيّها الإخوة أعمال الظّلمة ، ونُتَمّم أعمال النور ، لنصيرَ بني النهار. ولنتقدّم من ثمّ إلى الجبل ، حيث اشرقَ المسيح ، لنرى الأمور الحاصلة هناك. بل ، كوننا قد صرنا مستحقّين لنهار كهذا، فليَصعدنا في الوقت المناسب كلمة اللّه نفسه.والآن، أرجوكم ان ارفعوا أعين الذهن نحو نور جسدكم ليكون على صورة مجد الربّ. (في٣: ٢١) ، هذا الذي أشرقَ وجهه اليوم على الجبل مثلَ الشمس.

✚ «أضاءَ وجهُه كالشمس»، ماذا يعني بذلك؟

٥ ـ في وقت من الاوقات، لم يكن النور موجوداً في قُرصه، لأنّ النورَ مولودٌ منذ البدء، وأمّا إناؤه، القرصُ فقد أبدعه مبدع كلّ شيء في اليوم الرابع، حين أشعل فيه النور، وجعله كوكباً مضيئاً للنهار ومعبّراً عنه.

وكذلك في وقت من الاوقات لم يكن نور الألوهة موجوداً في جسد المسيح، لأن هذا النور الإلهيّ موجودٌ قبل البدء، وأمّا ما تبقّى (أي الجسد – الإناء)، فقد اتخذه ابنُ اللّه منّا. فعند اتّخاذه ملءَ الألوهة في باطنه أُعطيَ لنا النور الإلهيّ اليوم، فظهر كوكباً إلهيّ الهيئة ومتلألئاً بالنّور الإلهيّ في آن معاً. وهكذا «أضاءَ وجهُه كالشّمس، وصارت ثيابه بيضاء كالنّور» (مت١٧:٢) «وصارت ثيابه تلمعُ بيضاء جداً كالثلج، حتى لا يستطيعُ قصّار على الأرض أن يبيّض مثلها» (مر٩:٣).

٦ ـ بهذا النّور استضاء جسدُ المسيح المسجود له، وكذلك ثيابه، ولكن ليس بالطريقة نفسها. فلقد اضاءَ الوجه كالشمس، وأما الثياب فلأجل اقترابها من الجسد أصبحت هي أيضاً مضيئة. وبهذه الأمور أظهرَ ماهيةَ لباس المجد الذي سيتّشح به في الدّهر الآتي الذي طرحه عنه آدم بسبب المعصية، فظهر عرياناً وشعر بالخجل. يقول القديس لوقا عند رؤيته الأمور الحاصلة جديدة بالكليّة: «صارت هيئةُ وجهه متغيّرة، ولباسه مبيّضاً لامعاً» (لو٩: ٢٩). وأمّا مرقس فيصف الثّياب قائلاً إنّها كانت تلمع بيضاءَ جداً كالثّلج، مظهراً بهذا أنّ تلك الثياب عادمةُ المثال في جدّتها: فالثلج أبيض بالطبع، إلاّ أنه لا يلمع لأنّ سطحه لا يكون، عادة، مصقولاً.

٧ ـ إذاً، لم يكن بياض الثلج كافياً لوصف ذلك المشهد المبهج، ولذلك قرن باللّمعان، إشارة الى ذلك النور الإلهيّ الفائق الطبيعة، الذي من خلاله صارت تلك الثياب مضيئة لامعة.

فميزة النّور، عادةً، أنّه يُضفي على الأشياء بياضاً ولمعاناً، فضلاً عن كشف لونها، وأمّا ذاك النور الإلهيّ، فقد غطّاها، أو بالأحرى غيّرها، الأمر الذي لا يفعله النور الحسيّ (الطبيعيّ). والعجيب أيضاً أنه عندما غيّرها حافظ عليها دون تغيير. كما يشير إلى ذلك بعد قليل. فأينَ عمل النور الحسيّ من ذلك؟ لهذا يشير الإنجيليّ إلى ضياء وجه الربّ، وإلى جماله الفائق، كما يشير أيضاً على جمال ثيابه؛ فكلُّ ما للطبيعة قد طرحه جانباً بطريقة ما، جامعاً بذلك بين البياض واللّمعان، بعدَ أن وجدَ خارجَ الطّبيعة أيضاً فنّاً له جماله، هذا الذي يفوقُ على ما يُضفيه القصّارون من جمال «لا يقدر قصّار على الأرض أن يبيّض مثل ذلك. ـ القصّار: هو الشخص الذي يعمل في صناعة الجلود وتركيب ألوانها وتبييضها».

✚ الكلمة الإنجيليّة:

٨ ـ لكن الكلمة أقنومَ حكمة الآب، الذي قَبْلَ الدهور، عندما تجسّد من أجلنا، حمل في داخَله كلمة الكرازة الإنجيليّة، فكانَ الحرفُ فيه هو اللّباسَ، كونه أبيض جليّاً، وفي الوقت نفسه

القديس غريغوريوس بالاماس

مضيئاً ولامعاً كالجوهرة، وإلهيّ الشكل عند من يرون روحيّاً كلّ ما للروح، الّذين يفسرون كلمات النّصوص بطريقة إلهيّة، ويبيّنون من ثمّ أنّ الكلامَ الإنجيليّ قد جُعلَ هكذا بحيث لا يستطيعُ أن يفسّره قصّارٌ على الأرض، أي فيلسوف هذا الدهر، بل ولا يستطيعُ هذا الأخير أيضاً أن يفهم تفسيرَ الآخرين. «والإنسان الطبيعيّ لا يقبلُ ما لروح اللّه ... ولا يستطيع أن يعرفه» (١كور ٢ : ١٤)، ولذلك يرى في الإشراقات الحسيّة إشراقات روحيّة إلهيّة، «متداخلاً في ما ينظره ومنتفخاً باطلاً من قبل ذهنه البَشريّ» (كول٢:١٨).

✚ فأجاب بطرس وقال ليسوع: يا ربّ حسنٌ أن نكون ههنا. وإنْ شئتَ فلنصنَع ههنا ثلاث مظالّ: واحدة لكَ وواحدةً لموسى وواحدة لإيليّا» (مت١٧:٤)

٩ ـ بعد أن استْنارَ ذهنُ بطرس من تلك الرؤية المغبوطة، وارتفع إلى العشق الإلهيّ، لم يُرد أن ينفصل عن ذلك النور، بل كان يقول للربّ: «حسنٌ أن نكون ههنا. وإنْ شئتَ فلنصنع ههنا ثلاث مظالّ: واحدةً لك وواحدةً لموسى وواحدةً لإيليّا»، دون أن يعرف ما كان يقول؛ ذلك أنّه لم يأتِ بعد أوان الآخرة ... حين لا نعود بحاجة إلى مظالّ من صنع الأيدي. وكان عليه، تالياً، ألاّ يساوي السيّد بالعَبيد من جهة المظالّ، لأنّ المسيح هو الابنُ الأصيل ... الّذي في أحضان الآب، أما النبيّان موسى وإيليّا فهما ابْنا إبراهيم، ولذلك يسكنان في أحضان إبراهيم. وبينما كان بطرس يقول ذلك، أذا سحابة نيّرة قد ظلّلتهم. (مت١٧:٥).

✚ «اذا سحابة نيّرة قدْ ظلّلتهم» (مت١٧:٥):

هذه السحابة قطعت كلام بطرس، كاشفةً عن مظلّة المسيح الحقيقيّة. ولكنْ، ما هي تلك السحابة؟ وكيف ظلّلتهم، مع كونها مُنيرة؟ هل هي النور غيرُ المقترب اليه الّذي فيه يسكن اللّه، أي النور المحيط بلباسه؟ لأنه يقول: «الجاعل السحاب مركبة له» (مز١٠٣:٣)، «وجعل الظلمة سترهُ وحوله مظلته» (مز١٧:١٢). وكما يقول الرسول: «الذي وحده له عدم الموت، ساكناً في نور لا يُدنى منه» (١تيم٦:١٦)، هذا أيضاً النور هو في الوقت نفسه ظلام يُظلّل من شدّة لمعانه.

١٠ ـ وما رآه الرسل بأعينهم يشهد عنه اللاهوتيون القديسون أنه لا يُدنى منه، فمنهم من يقول: «اليوم لُـجّة النور غير المقترب اليه، اليوم يرى الرسل بوضوح فيضاً من الضياء الإلهيّ على جبل ثابور (القديس يوحنا الدمشقي 2pg 96 545 B)؛ وآخر بعد أن قالَ إنّ النّور الذي لا يُدنى منه هو غمامٌ يسكن فيه اللّه، يقول: «يدركه كلّ من استحق أن يعرف اللّه ويراه» (القديس ديونيسيوس الكبير، رسالته 5 A 1073 3 pg 5).

١١ ـ إنّ الشمسَ الحسيّة تبدو كما صُنِعَتْ بطبيعتها ، لا تَتَبَدَّلُ قوَّتُها إلاّ متى شاء اللّه ، ولا تتحوّل إلاّ في الاتجاه الذي يريده لها اللّه ، وأمّا المسيح ، شمس العدل والحقّ ، فلا يملك بطبيعته ضياءً ومَجداً فحسبُ ، بل ويملك أيضاً مشيئة تناسبه ، حتى أنّه يضيء بقصد خلاصيّ لمن يشاء ، ولانه يشاء. ولذلك أشرقَ بمشيئته كالشمس ، فرآه الرّسلُ بأعينهم من بعيد ، ثمّ أن ازداد إشراقاً حسب مشيئته ، غابَ عن أعين الرسل من شدّة الضياء ، وكأنّه دخَلَ في سحابة منيرة.

✚« وصوتٌ من السحابة يقول: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت، فله اسمعوا» (مت١٧:٥).

١٢ ـ عندما اعتمدَ الرّبُ في الأردُنَ ، فتحت السماوات وسُمِعَ صوتٌ ، من ذلك المجد الذي عاينه استفانوس عندما انفتحت له السماوات ايضاً ، امتلأ من الروح القدس. وأمّا اليوم ، فقد سُمِع الصوتُ من السحابة التي ظلّلت يسوع ، تلك السحابة نفسها التي تواكب مجد اللّه الفائق السّماوات. إذاً ، كيف نقول بعدَ كلّ هذا إنّ نور حسي سماويّ ؟

صوت الآب:

إنَّ صوتَ الآب قد علّم من السحابة أنّ كُلّ ما سَبَقَ مجيء ربّنا وإلهنا ومُخلصنا يسوع المسيح من الذبائح والنّواميس والتبنّيات، إنما كانت أموراً ناقصةً لم تتمّ بحسب مشيئة اللّه ، بل بسماح منه ، لأجل حضور اللّه وظهوره الوَشيك. أمّا المسيح ، فهو الذي يسرّ اللّه كابْنَ حبيب ، وفيه هو يستريح الآب كاملاً ، ولذلك يطلب منّا أن نسمع له ونُطيعه.

إن قال لنا ادخلوا من الباب الضيّق لأنه واسعٌ ورحبٌ الطريقُ الذي يؤدّي إلى الهلاك ، لأنّ الطريق الذي يؤدّي الى الحياة ضيّق فاتبعوه ؛ وأنّ قال إنّ ذلكَ النّور هو ملكوت اللّه ؛ فاسمعوا له، وآمنوا به، واجعلوا أنفسكم أهلاً لمثل ذلك النور.

✚«فلمّا سمع التلاميذ، سقطوا على أوجههم، وخافوا جداً» (مت١٧:٦).

١٣ ـ عندما ظهرت السّحابة المُنيرةُ وسُمِعَ الصّوتُ الأبويّ من السحابة ، سقط التلاميذ على وجوههم ، ولكَنْ لا بسبب الصوت. فهذا الصوت كان قد سُمِعَ في مناسبات أخرى: على ضفّة الأردن ، وفي أورشليم عند اقترابِ الآلام الخلاصيّة حينما قال الرّبّ: «يا ابت مَجّد اسمك ، فجاء صوتٌ من السماء أن قد مجدّتُ وسأُمجّد أيضاً» (يو١٢:٢٨). لقد سمع الجمع كله الصوت آنذاك ، ولم يسقط أحدٌ منهم على الارض ، وأمّا هنا فلم يسمع الصوت وحده ، بل مقروناً بظهور النور غير الموسوع. ومن هنا، فإنّ الآباء المتوشّحين باللّه قد عرفوا أن ليسَ من أجل الصوت فقط ، بل من أجل تغيُّر النّور وتفوق لمعانه على مألوف الطبيعة ، سقط التلاميذ على وجوههم. فإنّ الخوف تملّكهم قبلَ ورود الصوت ، كما يقول مرقس ، من جرّاء ذلك الظهور. (مر٩:٦).

✚«جوهر اللّه والنور الإلهي:

١٤ ـ وعندما يظهر النور الإلهيّ الفائق الطّبيعة وغير المخلوق

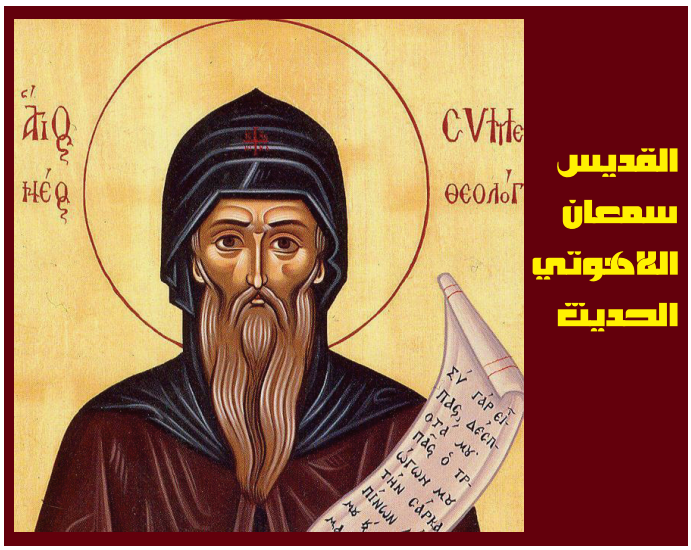

على هذا النّحو ، فماذا يحصل إذْ ذاك للمتمرّسين على التربية الخارجيّة الدّنيوية ، الذين لا يستطيعون أن يعرفوا ما للرّوح ؟ إنّهم يسقطون في هوّة أخرى ، فلا يسمّونها مجداً إلهيّاً ، ولا ملكوت اللّه ، ولا جمالاً ، ولا نعمة ، ولا ضياءً ، كما تعلّمنا من اللّه ومن الآباء اللاهوتيّين ، بل يَدعون أنّها جوهرُ اللّه ، هذا الذي قالوا عنه سابقاً إنه حسيّ ومخلوق.

أمّا الربُّ فيقول في الأناجيل إنّ هذا المجد ليس مشتركاً بينه وبين الآب فحسب ، بل ومع الملائكة القدّيسين كما يكتبُ لوقا الإلهيّ ، لأنه يقول: «لأنّ من يستحي بي وبكلامي يستحي به ابن البشر متى جاء في مجده ومجد الآب والملائكة القديسين» (لو٩:٢٦). وعليه ، فالذين يقولون عن المجد إنّه جوهر ، سيقولون من ثمّ إنّه جوهر اللّه والملائكة ، الأمر الذي يبتعد كلّياً عن حقيقة الإيمان والتقوى.

✚ النعمة والنور:

١٥ ـ في هذا المجد وهذا الملكوت ، لا يشترك الملائكة فقط ، بل والقدّيسون من الناس أيضاً. ولكنْ الآب والابنَ لهما هذا المجد بالطبيعة ، وأمّا الملائكة والبشرُ والقديسون فيحصلون عليه بالنّعمة التي منها يأتي الإشراق.

إذاً ، موسى وإيليا يظهران معه في هذا المجد عن طريق النعمة ؛ بيد أنّ موسى لم يشترك بالمجد الإلهي على جبل ثابور فقط ، بل وأيضاً عندما تمجّد في وجهه كثيراً حتّى أنّ بني إسرائيل لم يستطيعوا من بعد النظر إليه. ويقول **الاب القديس سمعان المترجم**: «إنّ موسى قد تقبّل على وجهه المائت مجد الآب الأزلي» (حول حريّة الفكر ABC 34956 pg 21) .

✚ جوهر اللّه أيضاً:

١٦ ـ إذاً ، مجدُ اللّه ومجدُ قدّيسيه واحدٌ ، وكذلك ملكوتهما وضياؤهما. لذا ، «سيكون ضياء اللّه علينا» كما يرتّل المزمور (مز ٨٩ :١٧) ؛ أمّا أنْ يكونَ جوهر اللّه وجوهر قدّيسه مشتركاً وواحداً ، فهذا ما لم يتجرأ أحدٌ بعد على قوله. لقد ظهر الضياء الإلهيّ ضياءً مشتركاً ما بين ألوهة الكلمة وجسده أخيراً ، وأمّا أن يقال عن جوهر الألوهة وجوهر الجسد أنّهما واحدٌ ، فهذا ما قاله **إفتيخيوس وذيوسقورس الهرطوقيان العادما التقوى**.

هذا المجد وهذا الضياء سيُعاينه الكلُّ عندما يظهر الربّ ، وذلك

شرقاً وغرباً. أمّا الآن، فقد رآه الذين صعدوا مع يسوع على الجبل ، لأنّه لم يقمْ أحدٌ ، سوى اللّه ، في أقنوم إلهيّ وفي جوهر إلهيّ ليصف جوهر اللّه. إذ من ذا الذي «وقف في مجلس الربّ ورأى وسمع كلمته ؟» (إر٢٣:١٨).

ثم إنّ هذا النّور الإلهيّ يُعطى بقياس ، الكثير منه والقليل ، كما يوزع بدون تجزئة حسبَ استحقاق قابليه.والبرهان على ذلك سهلُ المنال: فوجْهُ الربِّ قد شَعَّ أكثرَ من الشمس ، وصارت ثيابه بيضاء لامعة كالثّلج ، بينما شوهد موسى وإيليّا في المجد نفسه ، دون أن يشعّ واحدٌ منهما مثل الشمس. ومن ناحية ثانية ، رأى التلاميذ أنفسهم بعضاً من ذلك النور ، دون أن يتمكّنوا من معاينة بعضه الآخر.

١٧ ـ هكذا يقاس ذلك النور ويوزّع بدون تجزئة ، ويُقبل منه الكثير والقليل. اليوم يُعرف منه قسم ما ، وأمّا بعدُ، فيعرفُ قسمه الآخر ؛ لذلك يقول بولس الرسول: «نعلم بعض العلم ونتنبّأ بعضَ التنبّؤ» (١كور١٣:٩).

إنّ **جوهر اللّه** لا يُدرك أبداً ، ولا يوزّع ولا يقتبل منه لا الكثير ولا القليل ، وأمّا غير ذلك ، أيْ أن يقال إنّ جوهرَ اللّه يراه المستحقّون، فهذا من شأن الهراطقة المرفوضين. أمّا نحن، فنشْجُبُ اعتقادهم ونؤمن أنّ القدّيسين يرون مجد اللّه وملكوته وضياءه ، والنّور الذي لا يوصف، والنعمة الإلهيّة ، وأنهم يشتركون فيها ، ولكنْ دونَ أن يشتركوا في جوهر اللّه ، كما تعلّمنا.

فلنتقدّم إذاً بهذا الإيمان نحوَ إشراق نور النّعمة ، لكي نتعرّف على الألوهة المثلّثة البهاء ، المشعّة من طبيعة واحدة مثلّثة الأقانيم ، بأشعة واحدة لا توصف ، ونُجلّها ، ولنرفع أعيُنْ ذهننا نحوَ الكلمة الجالس الآن بجسده فوق القناطر السّماوية ، والذي بجلوسه عن يمين العظمة الإلهيّة كما يليق باللّه ، يترك لنا هذا الصوّت وكأنّه من بعيد قائلاً: كلُّ من يريد معاينة مجد كهذا ، فلْيُماثل هذه الطريق سالكاً فيها على قدر استطاعته ، وَليستَسرِرْ بتلك السّيرة التي أظهرتُها أنا على الأرض.

١٨ ـ وهكذا ، فلنُلاحظ بأعيُننا الدّاخليّة تلك الرؤية العظيمة ، أن تعايش طبيعتُنا أبديّاً نارَ الألوهة غيرَ الهيوليّة ، بعد أن ننزع عنّا الأقمصة الجلديّة التي ارْتديناها بسبب المعصية ، أعني الاهتمامات الأرضيّة والجسديّة ، وذلك لننبتَ في أرض مقدّسة ، يظهر فيها كلٌّ منا أرضهُ مقدّسة عن طريق الفضيلة وميله إلى اللّه ، فتكون لنا دالّة عند نزول اللّه نوراً ، ونسرع من ثمّ لنستنير ونعيش معه هكذا أبديّاً ، لمجد بهاء الوحدة المثلّثة الشعاع ، الآن وإلى دهر الداهرين ، وليكن كذلك ، آمين.

الأسقف أمفيلوكيوس ، يصرخ بوجه الأمبراطور ثيوذوسيوس

الضابط الكل

الذين يقرأون التاريخ يعرفون أنه إبان حكم ثيودوسيوس الإمبراطور ظهرت بدعة أريوس التي تنادي بعدم ألوهيّة السيّد المسيح وقد شاء الامبراطور أن يشرك ابنه أركاديوس معه في الحكم ، وقد توجه الأسقف أمفيلوكيوس إلى الأمبراطور ليهنئه ، وبعد أن هنّأه بكلمات عظيمة حاول الإنصراف ، فتأثّر الإمبراطور ، وقال له: أتحضر إلى قصر الامبراطور ولا تهنىء ابني ؟ فتقدّم الأسقف ووضع يده على رأس الابن وباركه وحاول الانصراف. فتألم الامبراطور وأبدى استياءه لعدم تكريم الأسقف لولده.

عندئذ صاح الأسقف وقال له بصوت كالرعد: هل ترى يا سيّدي أني قصّرت كثيراً لأني لم أقدّم لابنك الاكرام الذي قدمته لك ، فماذا يرى الإله الأزلي فيك وقد سمحت أن يهان ابنه المساوي له في الملك ، والمساوي له في الجوهر ، بتشجيعك للأريوسيين المبتدعين ؟.كانت هذه الكلمات سيفاً ذا حدّين أثّر في الامبراطور ، فرفض البدعة الأريوسيّة التي تحاول التنقيص من قدر الرب يسوع المسيح.

* * *

قال بولس الرسول: «فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً. الذي إذ كان في صورة اللّه لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً للّه. لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد ، صائراً في شبه الناس ، وإذ وجد في الهيئة كانسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب ، لذلك رفعه اللّه وأعطاه إسماً فوق كل اسم لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومَن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب ، لمجد الآب».

وقيل عنه «عظيمٌ سرّ التقوى اللّه ظهر في الجسد» (١تيمو ٣:١٦) ، وقيل عنه أيضاً: «والكلمة صار جسداً» (يو١:١٤) ، وقيل عنه في سفر ميخا: «ومخارجه منذ القدم منذ أيام الأزل» (ميخا ٥:٢)؛ والمخارج هنا أي الظهور والتجسد؛ إن المسيح ابن اللّه ، وابن العليّ ، وابن الإنسان، يطلق عليه في الأنجليزية The God-man وفي اليونانية «ثي انثروبوس» وهي مؤلّفة من كلمة Theos ومعناها «اللّه» ومن anthropos يعني «إنسان» فيكون معنى ذلك أن المسيح : «الإله – الإنسان» أي «اللّه المتأنّس».

قال النبيّ قديماً: «من صعد إلى السموات ونزل ، مَن جمع الريح في حفنتيه، مَن صرّ المياه في ثوب، مَن ثبّت أطراف الأرض، ما اسمه وما اسم ابنه ، إن عرف ؟» (أمثال ٣٠:٤).

خالق الشر

للقديس يوحنا الذهبي الفم رئيس أساقفة مدينة القسطنطينية

«أنا الرب وليس آخر، مُصوِّر النور وخالق الظلمة، صانع السلام وخالق الشر» (إش٤٥: ٦-٧).

في الواقع، هذه الآية تبعث على القلق العميق في الشخص الغير منتبه إنتباهاً شديداً. لذلك، انصتوا بإهتمام، اشحذوا السمع، واصغوا لما يقال بإنصرافكم عن كل إهتمام دنيوي ... « أنا الرب وليس آخر، مُصوِّر النور وخالق الظلمة، صانع السلام وخالق الشر». اني استمر في ترديدها حتى تصبح محفورة في ذهنكم، وبعد ذلك نبحث عن الحل. انه ليس الشخص الوحيد الذي قال هذا، كاتب آخر أيضاً كان على إتفاق معه عندما قال: «هل تحدث بليَّة في المدينة والرب لم يصنعها؟» (عا٣: ٦). ما معنى هذا النص؟ يجب أن يكون هناك حل واحد للاثنين. فما هو الحل؟ لنستمع جيداً وبإنتباه شديد. ليس بشكل عشوائي أو بلا غرض نوصيكم بهذا باستمرار، بل لأننا الآن ماضون إلى عمق المعنى. هناك بعض الأمور جيدة، البعض الآخر سيئ، والبعض الآخر ما بين هذا وذاك ، بينما يعتقد الكثير من الناس بشأنه أنه سيئ، إلا أنه في واقع الأمر هو ليس كذلك، بل فقط يتم وصفه واعتباره كذلك.

ولكن لكي أوضح ما أقوله، دعونا نُحلِّل وجهة نظرنا بإستخدام الأمثلة أيضاً. بينما يعتقد كثير من الناس أن الفقر شراً، هو في الواقع ليس كذلك، بل بالأحرى قد يكون له مفعول إزالة الشرور، إذا نظرتم إليه بتجرد وبقَيَم سليمة. وبالمثل، بينما يعتقد الكثير من الناس أن الثروة حسنةَ، في واقع الأمر هي ليست كذلك من جميع النواحي، إذا لم يتم استعمالها بشكل صحيح. لو كانت الثروة حسنة من جميع النواحي، لكان الذين يمتلكوها أيضاً صالحين، لكن بما أنه ليس جميع الأغنياء صالحين بل فقط أولئك الذين يستخدمون الثروة بشكل جيد، فمن الواضح أن الثروة ليست حسنة في ذاتها بل هي في وضع متوسط. لنفكر ملياً في هذا: هناك صفات في الجسد تعطي نعتها للناس الذين يمتلكونها. على سبيل المثال، جمال الطلعة ليس جوهر بل خاصية، شيء ينتمي للجوهر بشكل عرضي، وإذا أصاب شخص ما فإننا ندعو هذا الشخص جميلاً. وبالمثل، المرض هو أيضاً خاصية تحدث عرضاً، وإذا أصاب شخص ما فإننا ندعو هذا الشخص مريضاً. هكذا أيضاً إذا كانت الثروة فضيلة لكان يتبع ذلك أن يكون الشخص الغني كذلك ويُدعى فاضلاً. لكن لو كان الغني ليس بفاضل على الاطلاق، تكون الثروة ليست فضيلة من كل الأوجه ولا حسنة من كل الأوجه، بل تصير كذلك فقط بحسب عقلية من يستخدمها. وبالمثل، لو كان الفقر شراً، لكان يتبع ذلك أن يكون جميع الفقراء أشراراً، لكن إذا كان الكثير من الفقراء قد بلغوا السماء، فالفقر بالتأكيد ليس شراً.

قد تسأل، لماذا إذن يدفع الفقر الكثير من الناس للتجديف؟ إن الفقر ليس هو السبب، بل هم يفعلون ذلك من قلة وعيهم ووضاعة مستواهم الروحي. وأيوب الطوباوي دليل على ذلك: بالرغم من كونه قد صار في فقر مدقع، بعيداً عن أي تجديف استمر في مباركة اللّه قائلاً: «الرب أعطى والرب أخذ، ما بدا حسناً للرب ذلك حَدَث، فليكن اسم الرب مباركاً» (أي١: ٢١ س). وربما تقول أيضاً فيما يخص الأغنياء أن الكثير منهم جشعين وطماعين. هذا ليس بسبب الثروة بل بسبب إفتقارهم للإحساس. ونفس الرجل (أيوب) يشهد أيضاً لذلك: بالرغم من أنه كان يتمتع بمثل هذه الثروة الكبيرة، لم يأخذ ما يخصّ الآخرين، بل أعطى مما له وأعدَّ مأوى وملاذاً للغرباء، قائلاً: «غريب لم يبت في الخارج. فتحت للمسافر أبوابي» (أي٣١: ٣٢). إبراهيم أيضاً الذي كان عنده مثل هذه الثروة الكبيرة صرفها كلها على عابري السبيل. الثروة لم تجعل الأول أو الثاني جشعَين، كما أن الفقر لم يجعل أيوب أو لعازر يُجدفان، بل على العكس، على الرغم من عدم توفر الغذاء الضروري لهما، بَرزَّت فضيلة كل منهما، فواحد تلقى شهادة حسنة من اللّه ـ الذي له معرفة واضحة بالأفكار الخفيَّة ـ والآخر حُملَ من ههنا بواسطة موكب ملائكة، جاعلين مسكنه في رفقة البطريرك ليتنعم بنفس الخيرات مثله.

إذاً تلك الأمور هي في الوسط ـ الفقر والغنى، الصحة والمرض ، الحياة والموت، المجد والشرف، العبودية والحرية، وما إلى ذلك. ليست هناك حاجة للعبور عليها كلها، لئلا تصير الخطبة طويلة جداً، بل تكفي هذه الأمثلة لكي تكون لنا الفرصة أن نبلغ إلى قضايا أكثر إلحاحاً. يقول الكتاب المقدس: «أعط حكيماً فيكون أوفر حكمةً» (أم٩: ٩). إذاً كل تلك الأمور هي بَينَ بَينَ، وبالتالي يمكن للناس إستخدامها للخير أو الشر. والدليل على ذلك قدمه لنا إبراهيم الذي استخدم غناه بشكل صحيح. أيضاً في حالة الغني ولعازر، نرى أن الغني قد برهن على ذلك أيضاً، منفقاً ممتلكاته على خراب ذاته. لذلك، الغنىَ ليس شيئاً جيداً أو سيئاً في جميع الحالات. لو كان حسناً فيَ جميع الحالات وليس بَينَ بَينَ، ما كان الرجل الغني قد عانى تلك العقوبات الفظيعة، ولو كان سيئاً ما كان إبراهيم بغناه قد تمتَّع بمثل هذه السمعة الطيبة.

المرض هو شيء مماثل. لو كان المرض أمر سيء لكان يتبع ذلك أن يكون كل مريض أيضاً سيء. ولكان مُقدَراً لشخص مثل

تيموثاوس أن يكون سيئاً بلا شك، إذ كان يقاوم مرضاً شديداً. «استعمل خمراً قليلاً من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة»، كما يقول الكتاب (١تي٥:٢٣). لكن بما أن تيموثاوس حقاً لم يكن سيئاً، بل في الواقع نال مكافأة إضافية بوفرة من خلال تحمله للمرض بنبل، فمن الواضح أن المرض ليس أمراً سيئاً. كاتب مُلهَم آخر عانى من ضعف البصر، لكن بدلاً من أن يكون سيئاً لهذا السبب، كان في الواقع شخصاً مُلهماً، وتنبأ بالمستقبل، وبرهن أن المرض ليس عائقاً أمام الفضيلة. من الناحية الأخرى، الصحة ليست جيدة من كل الأوجه، ما لم يستعملها الشخص بشكل صحيح وليس للأغراض الشريرة أو للخمول الطائش الذي لا يخلو من الأخطاء، لذا قال بولس أيضاً: «إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً» (٢تس٣:١٠).

هذه الأمور هي بَينَ بَينَ، فتبرهن أنها على هذا الجانب في هذا الظرف، وعلى الجانب الآخر في ظرف آخر، وهذا يتوقف على الاستخدام الذي نتخذه بشأنها. لماذا نذكر فقط الصحة والمرض، الغنى والفقر؟ بل حتى الأمور التي بحسب تقدير عامة الناس تقع على قمة الأمور الجيدة أو في قاع الأمور السيئة، أعني الموت والحياة، ليست هكذا في جميع الحالات، بل هي في الوسط، مبرهنة أنها جيدة أو سيئة إعتماداً على توجه الذين يستخدمونها. وكمثال على ذلك: الحياة جيدة عندما يستخدمها الشخص بشكل صحيح، لكن عندما تُستخدم للخطية والفوضى، لا تُعَد جيدة، بل على العكس يكون من الأفضل لمثل هذا الشخص أن يفارق الحياة. مرة أخرى، ما هو في تقدير عامة الناس أنه ينبغي تجنبه (الموت) قد يكون مصدر خيرات لا تعد ولا تحصى، عندما يكون الدافع مناسب. تأملوا الشهداء المباركين أكثر من أي شخص آخر بسبب موتهم. هذا هو سبب عدم إشتياق بولس أن يكون على قيد الحياة في المسيح لأيٍّ غاية، بل فقط لأن ذلك كان له ثمر عمله. إذ يقول: «فماذا أختار؟ لست أدري. فإني محصور من الاثنين: لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح، ذاك أفضل جداً. ولكن أن أبقى في الجسد ألزم من أجلكم» (في١:٢٢-٢٤). لذلك قال أيضاً الكاتب المُلهم: «عزيز في عيني الرب موت اتقيائه» (مز١١٦:٥) ـ ليس أي موت بل هذا النوع من الموت ـ وأيضاً في موضع آخر: «موت الأشرار رديء» (مز ٣٣: ٢١س).

ألا ترون أن هذا الأمر (الموت) أيضاً هو في الوسط، لا خيراً من كل النواحي ولا شراً من كل النواحي، بل يعتمد على سلوك من يجتازه؟ لهذا السبب سليمان الحكيم أيضاً عند سرده للأمور الحيادية يُبيِّن أنها ليست جيدة أو سيئة من كل الأوجه، بل تُصبح كذلك في الوقت المناسب، بل تصير حتى عبئاً عندما يكون الوقت لم يحن بعد: «للبكاء وقت وللضحك وقت، للحياة وقت وللموت وقت» (جامعة ٣:٤). بكلمات أخرى، الابتهاج ليس دائماً حسناً، بل هناك أوقات يكون فيها ضاراً، ولا الحزن دائماً حسناً بل هناك أوقات يكون فيها فادح ومدمر. القديس بولس أيضاً وضَّح هذه النقطة قائلاً: «لأن الحزن الذي بحسب مشيئة اللّه يُنشئ توبة لخلاص بلا ندامة، وأما حزن العالم فيُنشئ موتاً» (٢كو٧:١٠). ألا ترون أن هذا الأمر أيضاً يقع ضمن الأمور الوسط؟ لذلك لم يوصينا بالفرح دون قيد أو شرط، بل بالفرح في الرب (في٤:٤).

إن معالجتنا قد قدمت لكم توضيحاً كافياً عن الأمور التي في الوسط.

حان الوقت لكي نمضي قدماً للحديث لا عن الأمور الوسط بل عن الأمور الحسنة التي لا يمكن أن تكون رديئة، والأمور الرديئة التي لا يمكن أن تكون حسنة. ما ذكرته قبلاً، يكون بهذا النوع في وقت ما، وبنوع آخر في وقت آخر، مثل الغنى الذي يكون سيئاً في بعض الأحيان عندما يتم إنفاقه على الجشع، ويكون حسناً في أحيان أخرى عندما يتم استهلاكه في عمل الصدقة. وهكذا، بالنسبة للأمور الأخرى المشابهة وفقاً لهذه القاعدة. هناك أمور أخرى لا يمكن أن تكون سيئة في أي وقت من الأوقات، وأمور عكسها لا يمكن أن تكون حسنة في أي وقت من الأوقات، مثل **المعصية، والتجديف، والفجور، والوحشية، واللاإنسانية، والشراهة**، وما شابه. أنا لا أقول أن الشخص الرديء لا يمكن أن يصير صالحاً في أي وقت من الأوقات، أو أن الصالح لا يمكن أن يصير رديئاً في أي وقت من الأوقات. فبينما تلك الأمور لها فئة خاصة بها، البعض حسن، والبعض رديء، إلا أن البشر خلافاً لذلك يكونون صالحين عندما يختارون الأمور الحسنة، وأرديء عندما يختارون عكس ذلك.

هناك إذن، ثلاثة أنواع: بعض الأمور حسنة ولا يمكن أبداً أن تكون رديئة، مثل ضبط النفس، عمل الصدقة، وما شابه. وبعض الأمور رديئة ولا يمكن أبداً أن تكون حسنة، مثل **الفسق والقسوة**. وهناك أمور أخرى تصير حسنة أو رديئة بحسب توجه الشخص الذي يستخدمها. على سبيل المثال، الغنى أحياناً يُساهم في الطمع وأحياناً في العطاء، إعتماداً على سلوك المستخدم. الفقر أحياناً يُساهم في التجديف وأحياناً في البركة والاعتزال. غير أن معظم الناس غير الحكماء يصنفون كرديء ليس فقط الأمور الرديئة التي لا يمكن أن تكون حسنة بل أيضاً الأمور التي في الوسط، مثل الفقر، الأسر، العبودية، والتي قد أظهرنا أنها لا تنتمي للأمور الرديئة بل لتلك الفئة المتوسطة، في حين أن كثير من الناس ـ كما قلت قبلاً ـ يصنفون كرديء ما هو ليس رديئاً بالفعل، والتي بشأنها يقول الكاتب الملهم (إشعيا) أنها ليست رديئة في واقع الأمر، بالرغم من تصنيفها كذلك بحسب تقدير عامة الناس، مثل **الأسر، والعبودية، والجوع** ، وما شابه.

والدليل على أن هذه الأمور ليست رديئة، بل ربما تساعد على طرد الأمور الرديئة، دعونا نركز أولاً على **الجوع**، والذي يعتقد الجميع أنه فظيع ومخيف. لنرى إذاً، كيف أنه ليس رديئاً، ولنتعلم التمسك بالقيم الصحيحة. عندما انحدر العبرانيون بسلوكهم إلى الافراط في الشرّ، نجد إيليا العظيم ـ الجدير بالسماء ـ في رغبته أن يتغلَّب على مرض اللامبالاة ويُقوِّمه، يقول: «حَيٌّ هو الرب إله

إسرائيل الذي وقفت أمامه، إنه لا يكون طلٌّ ولا مطرٌ في هذه السنين إلاعند قولي» (١مل١٧:١). على الرغم من إمتلاكه فقط عباءة واحدة، أغلق السماء، وكان لديه مثل هذه الثقة في اللّه. ألا ترون أن الفقر ليس رديئاً؟ لو كان الأمر كذلك، ما كان سيتمتع أكثر الناس إحتياجاً بمثل هذه الثقة، بحيث يبرهن بكلمة واحدة على مثل هذا السلطان الرائع، بينما لا يزال يخطو على الأرض. بقوله هذا، أدخَلَ الجوع كمربي ممتاز ومُصلح للشرور العارضة. وكما تضرب الجسم حمى مُستعرَّة، جفَّت السيول سوياً مع النباتات، وصارت الأرض منذ ذلك الحين عقيمة. ومن ثم، ربح الناس فائدة ليست بقليلة بالتخلص من فيضان الشرور، وتيقظوا، وصاروا أكثر قبولاً للإنقياد، وأصبحوا أكثر إستجابة للنبي. **وأولئك الذين ذهبوا وراء الأصنام وضَحّوا بأطفالهم للشياطين** صاروا ليس لديهم اعتراضاً على ذبح كهنة البعل، وبدلاً من الإنزعاج تحمَّلوا الحَدَث في صمت وخوف، وأصبحوا على نحو أفضل من خلال الجوع.

ألا ترون أن الجوع ليس فقط غير رديء بل يعمل حتى على إلغاء الشرور، مُصححاً الأمراض على غرار الدواء؟ إذا كنتم تعتبرون العبودية أيضاً كأمر رديء، تأملوا ما كان عليه اليهود قبل السبي، وما كانوا عليه أثناء الأسر، حتى تتعلم أنه لا الحرية حسنة من كافة النواحي ولا الأسر سيئ. تذكروا أنهم عندما كانوا يتمتعون بالحرية، وكانت لهم بلدهم الخاصة، ارتكبوا مثل هذه الأمور الفظيعة، حتى كان الأنبياء يحتَّجون عليهم يوماً بعد يوماً لكون **الناموس يُداس تحت الأقدام، والأصنام تُعبَّد، ووصايا اللّه تُنتَهَك**. لكن عندما اقتيدوا إلى أرض غريبة وعاشوا في بلاد أناس قساة، تأدبوا وتغيروا للأفضل وخضعوا للناموس. ومن الممكن إدراك حقيقة ذلك من المزمور الذي يتعيَّن علينا أن نُركِّز عليه اليوم، حتى نتعلم ثمار السبي. أي مزمور هذا؟ «على أنهار بابل هناك جلسنا. بكينا أيضا عندما تذكرنا صهيون. على الصفصاف في وسطها علقنا أعوادنا. لأنه هناك سألنا الذين سبونا كلام ترنيمة. ومعذبونا سألونا فرحاً قائلين: رنموا لنا من ترنيمات صهيون. كيف نرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة؟» (مز١٣٦).

ألا ترون كيف أدبهم السبي؟ أما قبل الأسر، ما كانوا يتحملون دوي مناشدة الأنبياء بعدم خرق الناموس. بينما بعد الأسر، بالرغم من ضغوط الشعب القاسي، وإصرار أسيادهم، لم يستجيبوا لهم، بل قالوا: «لن نرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة، نظراً لأن الناموس لا يسمح بذلك». تأملوا أيضاً الثلاثة فتية الذين ليس فقط لم يتضرروا من الأسر بل صاروا أكثر تميُّزاً بواسطته، ودانيال كذلك. وماذا عن يوسف ؟ أي شرّ قد عاناه، بالرغم من أنه صار منفياً وعبداً وأسيراً؟ ألم يكتسب بسبب ذلك سمعة طيبة وصار مشهوراً؟ وتلك المرأة الأجنبية (**إمرأة فوطيفار**)، التي كانت تعيش في ثراء وبهاء وحرية، أي خير حصلت عليه من كل ذلك؟ ألم تكن إمرأة بائسة أحقَّر من جميع النساء، لعدم رغبتها في إستعمال كل ذلك إستعمالاً سليماً؟

وهكذا، ظهر لكم بوضوح أن هناك بعض أمور رديئة والبعض حسنة والبعض في الوسط، وحقيقة أن الكاتب المُلهم (إشعيا) يقول

دانيال النبي في جبّ الأسود

أن الأمور الوسط ليست حقاً سيئة بل يُظَّن أنها كذلك بواسطة عامة الناس، **كالأسر والعبودية والنفي**.

الآن، من الضروري أن نوضَّح السبب وراء هذه العبارة. فاللّه كليّ المحبة والسريع في إظهار الرحمة، بينما بطيء في ممارسة العقوبة، أرسل الأنبياء وذلك لكي يتجنب تسليم اليهود للعقاب، معتزماً أن يخيفهم بالكلمات حتى لا يعاقبهم بالفعل. وقد فعل ذلك أيضاً في حالة أهل نينوى، عندما هدَّد بقلب المدينة، ليس بقصد الإطاحة بها بل لتجنب الإطاحة بها، كما تم بالفعل في واقع الأمر. هذا ما فعله في هذه الحالة أيضاً، إذ أرسل الأنبياء مهدّداً بقدوم البرابرة، واندلاع الحروب، والسبي، والعبودية، والنفي، والعيش في أرض غريبة. تماماً كما يفعل الأب المحب مع طفل متمرد كسول، راغباً في إعادته إلى رشده، إذ يبحث عن السوط ويهدد بالكلمات عن الجلدات: سوف أربطك، أجلدك، أتخلص منك، فيصير خائفاً فزعاً، وبهذه الطريقة يُخضع الصبي ويبعده عن طريقه الشريرة، هكذا أيضاً اللّه يهدِّد بشكل مستمر، راغباً في تغييرهم إلى نحو أفضل من خلال الخوف.

أما الشيطان في رغبته لتقويض التغيير الناتج عن هذا التهديد، فقد أرسل أنبياء كذبة، ومما يتعارض مع تهديدات الأنبياء بالأسر والعبودية والمجاعة، بشروا خلافاً لذلك أي بالسلام والازدهار والتمتع بالخيرات الكثيرة. ومن ثم، سَخَرَ منهم الأنبياء أيضاً، بقولهم: «سلام، سلام، ولا سلام» (إر٦:١٤). وكل شيء تمَّ كما تنبأ الأنبياء ضد الأنبياء الكذبة (كما يعرف كل باحث)، الذين كانوا يزعزعون حماسة الشعب.

لذا، عندما زعزعوا الناس بهذه الطريقة وأفسدوهم، قال اللّه بواسطة الأنبياء: « أنا الرب وليس آخر ... صانع السلام وخالق الشر» (إش ٤٥:٦-٧). أي نوع من الشر؟ تلك المذكورة: **العبودية، الأسر**، وما شابه. لا الزنا أو الفسق أو الطمع أو أي شيء آخر من هذا القبيل. لهذا قال نبي آخر: «هل تحدث بلية في مدينة والرب لم يصنعها؟» (عا٣:٦)، فهو يُشير إلى هذه المِحَنْ: **المجاعة، الأمراض، الأوبئة، المرسلة من اللّه**. هكذا أيضاً السَيد المسيح بقوله: «يكفي اليوم شرُّه» (مت٦:٣٤)، كان يشير إلى العمل والجهد والصعوبات. هذا إذاً هو ما يقصده النبي: لا تدع الأنبياء الكذبة يضعفوك، فاللّه قادر أن يعطيك السلام ويدفعك للأسر. هذا هو معنى «صانع السلام وخالق الشر». ولكي تعلم أن هذا الأمر صحيح، لنفحص نص الآية بتدقيق، إذ بعد أن قال «أنا الرب وليس آخر، مُصوِّر النور وخالق الظلمة»، استطرد قائلاً: «صانع السلام

وخالق الشر». لقد استشهد بنقيضين أولاً، ثم بنقيضين بعد ذلك، لكي تعلم أنه لا يشير إلى الزنى بل للكوارث. أعني، ما هو الشيء المعاكس للسلام؟ بكل وضوح، هو الأسر والسبي لا الفسق أو الزنى أو الطمع. وكما استشهد بنقيضين أولاً، هكذا أيضاً في الحالة الثانية، ونقيض السلام ليس الزنا أو الفجور أو غيرها من الرذائل بل السبي والعبودية. وكما خلق اللّه النور والظلمة، ومعظم الناس يعتقدون أن النور لطيف والظلام غاشم، ويسيئون فهم الليل كشيء شرير، هكذا في هذه الحالة أيضاً. غير أنه لا ينبغي أن يساء فهم الليل أو الظلام، ولا أيضاً الأسر أو العبودية في جميع الحالات. أخبرني، أين الرداءة في الظلام؟ أليس فيه إستراحة من العمل؟ أليس فيه إغاثة من الهموم؟ أليس فيه إزالة الشدَّة؟ أليس فيه زيادة في القوة؟ من ناحية أخرى، لو لم يكن هناك ظلام وليل فهل كان من الممكن أن نتمتع بالنور؟ ألا كان هذا الإنسان الحي قد دُمِّر وفُقِدَ ؟ هكذا، كما يعتقد الناس الحمقى أن الظلام شراً، وهو ليس كذلك، بل يفيدنا ويجعل الذين يستريحون أثناءه أكثر نشاطاً للعمل، هكذا أيضاً الأسر ليس عديم القيمة ـ وقد كان النبي يتكلم عنه عندما قال «صانع السلام وخالق الشر» ـ بل هو على العكس، له فائدة ومنفعة لأولئك الذين يستعملونه بشكل صحيح، جاعلاً إياهم أكثر إعتدالاً وعقلانية، بإزالة حماقتهم. هكذا نرى، أن الفضيلة لا تُقيَّد، ولا شيء يستطيع أن يسود عليها، لا أسر، لا فقر، لا مرض، ولا حتى ما هو أكثر جبروتاً من أي شيء، الموت ذاته. هذا واضح من

جميع الذين تحمَّلوا كل هذه الأشياء، وصاروا بواسطتها أكثر سطوعاً: فأي ضرر أصاب **يوسف** (ليس هناك ما يمنعنا أن نركز على نفس الشخص مرة أخرى)؟ من قيوده؟ من سلاسله؟ من الإفتراء عليه؟ من المكائد؟ من العيش في بلد غريبة؟ أي ضرر أصاب **أيوب** من فقدانه لقطعان الماشية، موت أبنائه القاسي والمفاجئ، البلاء الجسدي، حشود الديدان، الألم الذي لا يطاق، الجلوس في المزبلة، تآمر زوجته عليه، سخرية الأصدقاء، سوء معاملة الخدم؟ أي ضرر أصاب **لعازر** من اضطجاعه عند البوابة، لحس جسده بواسطة ألسنة الكلاب، الجوع المستمر، إزدراء الرجل الغني، الجروح، المرض الغير المحتمل، الحرمان من الأصدقاء، الاحتقار من جانب المساعدين؟ أي ضرر أصاب بولس من تعاقب تلك السجون، والاعتقالات، والميتات، والغرق، وجميع التجارب الأخرى التي يستحيل تعدادها؟ بمراعاة كل هذه الأمور، دعونا نتجنب الشر ونسعى وراء الفضيلة. وبينما نحن نصلي أن لا ندخل في تجربة، دعونا لا نتعثر أو نضطرب إذا سقطنا في وقت ما.

هذه الأمور (**التجارب**) هي أسلحة الفضيلة بالنسبة لأولئك الذين يستخدمونها بشكل صحيح، وسوف ننجح في الحصول على الاستحسان من خلالها، ونتمتع بالخيرات الأبدية، لو كنا ساهرين. ليكن هذا نصيبنا جميعاً أن نُحقِّق هذا، في المسيح يسوع ربنا، الذي له المجد إلى أبد الآبدين آمين .

من الميتولوجيا اليونانية:

يروى ان هيراكليوس (وهو نصف إله) البطل الشهير كان ذات يوم جالساً يفكّر في اتعابه وسوء معيشته في خدمة بوريسيوس الصارم فرأى فتاتين جميلتين مقبلتين عليه. فتقدّمت احداهما وقالت له: ان سمعت لي وقبلت نصيحتي واتَّبَعتَ مشورتي ، لا ترى في حياتك تعباً ، ولا تتحمّل مشقّة ، بل تأكل المآكل الشهيّة ، وتشرب الخمور الطيبة ، وتجلس على الطنافس النفيسة الفاخرة ، وتسمع الالحان الشجيّة المطربة ، ولا تجد وجعاً ولا كدراً ولا غمّاً ولا همّاً، بل تقضي أيامك في اجتناء الملذات وشرب كؤوس المسرات. فلما فرغت من كلامها لم يصدقها هيراكليوس ، وسألها عن اسمها لانها لم تكن مؤدّبة في حديثها ولا محتشمة في حركاتها واشاراتها ، بل كانت الجرأة والوقاحة في كلامها وعلامات الخفة والنزق على وجهها.فقالت له: إنّ محبيّ يدعونني السعادة ، ومبغضيّ يدعونني الرذيلة.

فازة اغريقيّة تظهر هرقل يتصارع مع الأسد .

وكانت الفتاة الثانية طويلة القامة هيفاء القدّ جميلة الطلعة مؤدبة الحديث محتشمة المنظر عليها ثوبٌ أبيض كالثلج النقيّ فتقدمت وقالت: يا هيراكليوس اني أعرفك واعرف والديك والاتعاب التي قُدِّرَت عليك ، ولي الأمل الوطيد انك اذا قبلت نصيحتي وسرت في الطريق التي ادلّك عليها ، تنال الكرامة وتنطلق الالسنة في مدحك ووصف افعالك ، واني لا اغرّك بالمواعيد الفارغة ، بل اخبرك الحقّ حسب السنن الإلهيّة ، فاعلم ان الآلهة لا يعطون للبشر شيئاً من الخير والكرامة بلا تعب، فاذا رمت رضَى الآلهة عنك فاعبدها مجتهداً ، واذا رمت ان يكون لك مُحبّون مخلصون فدونك والآعمال الصالحة ، وان رمتَ الكرامة من بني وطنك والاعتبار من الناس ، فاسعَ في طلبها. لان الزارع لا يحصد ان لم يحرث ويزرع اولاً ، وصاحب المواشي لا تكثر مواشيه ان لم يعتنِ بتكثيرها.

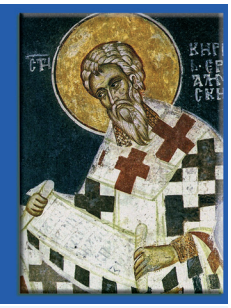

العظات الثمانية عشر لطالبي العمّاد

لأبينا القديس كيرلّس

رئيس أساقفة أورشليم

العظة السادسة

في وحدانية الله: أومن بإله واحد

«... انّما اللّه فيك وليس آخر، ليس إله غيرَه. إنّك لإله متحجّب، يا إله اسرائيل المخلّص ... إنكم لا تخزون ولا تخجلون الى دهور الأبد ، لأنه هكذا قال الرب خالق السماوات ، اللّه جابل الأرض وصانعها ... إنّي أنا الرب وليس آخر» (أشعيا ٤٥:١٤-١٨)

١) ـ للآب والابن مجد واحد

«تبارك إله ربنا يسوع المسيح وأبوه» (٢كور١:٣ ؛ راجع يو ٢٠:١٧) ؛ تبارك ابنه الوحيد (رومية ٩:٥) ؛ لأننا عندما نفكّر في «اللّه» نفكّر بنفس الوقت في «الآب» ، لكي نحتفي بشكل لا يتجزّأ بتمجيد الآب والابن (مع الروح القدس). إذ ليس للآب مجد وللابن مجد آخر ، بل هو المجد الوحيد نفسه (مع الروح القدس) . وبما أن الابن هو الابن الوحيد للآب ، فعندما يُمَجَّد الآب يشترك الابنُ في هذا المجد ذاته. وبما ان مجد الابن مستمدّ من كرامة الآب (أمثال ١٧:٦)، فعندما يمجّد الابن إذن ، يكرّم الآب الكليّ الصلاح تكريماً عظيماً.

٢) ـ اللّه فوق كلّ ادراك

إن الذهن يدرك ذلك بسرعة ؛ لكن اللسان في حاجة الى كلمات ووسائل أخرى عديدة. تحيط العين بعدد كبير من الكواكب دفعة واحدة ؛ ولكننا اذا أردنا أن نصف كل كوكب منها ، وأن نعرّف ما هو كوكب الصباح وما هو كوكب السماء ، وما هو كل كوكب، فاننا في حاجة عندئذ الى كلمات كثيرة. ويدرك الذهنُ كذلك ، في لحظة واحدة ، الأرضَ والبحر وجميع آفاق الكون. وما يدركه في لحظة يستلزم الكثير من الكلام للتعبير عنه. هذا المثل الذي قدّمته عظيم ، ولكنه ضعيف لا يفي بالمطلوب ؛ لأن ما نقوله عن اللّه ، ليس ما هو خاص به ، (لأن ذلك معروف منه وحده) ، بل ما يمكن أن تحويه طبيعتُنا البشرية ، وما يستطيع ان يتحمّله ضعفنا. في الواقع اننا لا نعبّر عمّا هو اللّه ، بل عمّا لا نعرفه عنه على وجه الضبط. اننا نعترف بذلك بكل بساطة ، لأن الاعتراف بالجهل في الأمور الإلهيّة لَعلم عظيم. «عظّموا الرب معي ولنرفع اسمه جميعاً» (مز٣٣:٤) . أجل، فلنفعل ذلك جميعاً ، لأن فرداً واحداً لا يكفي ؛ وحتى عندما نتحد جميعاً لا يمكنّا ان نفعله كما ينبغي. وانا لا أتكلّم عنّا نحن الحاضرين هنا ، بل عن الكنيسة الجامعة ، عن الكنيسة القائمة الآن والكنيسة المقبلة. فليجتمع القطيع بأسره ، ومع ذلك سيكون عاجزاً عن أن يفي الراعيَ حقَّه من المديح.

٣) ـ ابراهيم يعترف أمام اللّه بأنه تراب ورماد

كان ابراهيم رجلاً عظيماً ومحترماً ؛ كان عظيماً بين البشر. ولكنه عندما اقترب من اللّه اعترف بتواضع: «أنا تراب ورماد» (تك١٨:٢٧). لم يَقُل: «أنا تراب» ثم سكت. كمن كان يريد أن يلمّح بأنّه كان عنصراً عظيماً ، ولكنه أضاف «ورماد» ليعلن بذلك عن ضعفه ونتانته. هل يوجد أحطّ من الرماد وأنعم منه ؟ قارن الرماد بمنزل ، والمنزل بمدينة ، والمدينة بمقاطعة ، والمقاطعة بالإمبراطوريّة الروميّة البيزنطيّة ، والإمبراطوريّة الروميّة بكل الأرض في حدودها، والأرض كلها بالسماء التي تحيط بها ! والمقارنة بالسماء أشبه ما تكون بمقارنة النقطة المركزيّة بمحيط المدار. واعلم أن السماء الأولى التي نراها أصغر من الثانية ، والثانية أصغر من الثالثة (ذَكَرَ الكتابُ هذه السماوات (٢كور١٢:٢) لا لأنّها هي وحدها التي توجد، بل لأننا لم نُمنح إلاّ معرفة هذه السموات) ، وحتى هذه السماوات التي لا نعرفها ، لا تستطيع أن تَفي اللّه حقَّه من المديح. وإذا كانت هذه القوّات السماوية لا تستطيع أن تتغنّى بتسابيح اللّه كما ينبغي ، فهل في استطاعة التراب والرماد ، وهما من أحطِّ ما في الوجود ، أن يُسَبِّحا اللّه كما ينبغي وأن يتحدّثا بلياقة عن اللّه الذي يمسك بيده كرة الأرض ويعتبر سكّانها كالجراد؟ (اشعيا٤٠:٢٢).

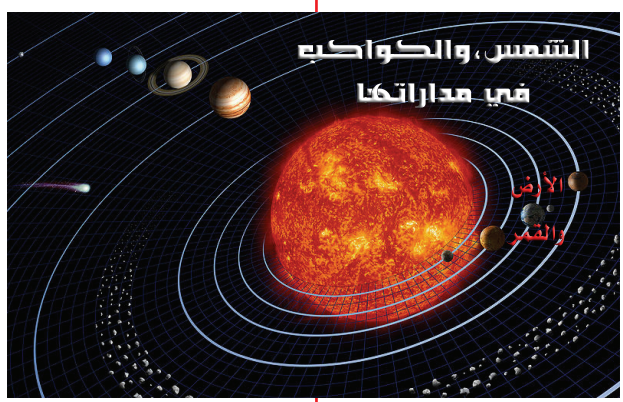

٤) ـ الطبيعة تفوق ادراك الانسان فكم بالأحرى اللّه !

اذا حاول أحد أن يتحدّث عما يخصّ اللّه ، فليتحدّث أولاً عن حدود الأرض. أنت تسكن الأرض ولا تعرف حدودها ، فمن أنّى لك أن تعرف بجدارة صانعها؟ أنت ترى الكواكب ، ولكنك لا ترى خالقها. إحصِ عدد ما تراه ، وعندئذ يمكنك أن تفسّر ما لا تراه ؛ «ذلك الذي يحصي عدد الكواكب ويدعو كلها بأسمائها» (مز١٤٦ :٤). لقد هطلتْ أخيراً أمطار غزيرة وتلاشت قطراتها بأقلّ من لمح البَصَر ، فَاحْصِ اذا استطعت القطرات التي سقطت على المدينة ، وانا لا أقول على المَدينة ، بل على سطح منزلك لمدّة ساعة. إحصها ان اسطعت. وإن لم تستطع اعترف بضعفك ، واعترف كذلك بقدرة اللّه ، لأنه «يحصي قطرات المطر» (ايوب ٣٦:٢٧) التي سقطت على الأرض ، ليس الآن فقط بل في الأزمنة كلها. الشمس من صُنع اللّه وهي كبيرة ، ولكنها اذا قورنت بالكون تبدو صغيرة للغاية. فحاول أن تدرك الشمس أولاً ، ثم ابحث في أمور الرب. «لا تطلب ما يُعييك نيله ولا تبحث عما يتجاوز قدرتك، لكن ما أمرَك اللّه به ، فيه تأمّل» (سيراخ٣:٢٢-٢٣).

٥) ـ تبرير علم اللاهوت

وربّ معترض يقول: اذا كانت الطبيعة الإلهيّة لا يمكن ادراكها ، فلماذا نتحدّث عنها؟ فهل لأني لا أستطيع أن أشرب النهر كله ، ألا يمكنّي ان آخذ منه حاجتي؟ وهل لأنه ليس في سعة العيون كلها استيعاب الشمس كلها ، ألا أستطيع أن أنظر إليها ما فيه الكفاية لفائدتي الخاصة؟ وإذا دخلت حديقة عظيمة ولم أقدر أن آكل من كلّ ثمارها ، فهل تريد ان أخرج منها جائعاً؟ إذن لأسبّح خالقنا وأمجّده ، لأن هذه الكلمة الإلهيّة أمر: «كل نسمة فلتسبّح الربّ» (مز١٥٠:٦) ؛ وأنا اسعى الآن الى تسبيح الرب لا إلى تفسيره. وبما أني أعلم اني لا أستطيع أن أفيه حقّه في التسبيح ، فأنا أبذل ما في وسعي للقيام بعمل التقوى هذا ، لأن الرب يسوع يعزّيني عن ضعفي عندما يقول: «اللّه لم يَرَهُ أحد قَط» (يو١:١٨).

٦) ـ اللّه يسمو على الملائكة ، فكيف لا يسمو على الانسان؟

وربّ معترض يقول: ماذا إذن؟ ألم يُكتب: «ان ملائكة الصغار في السماوات يشاهدون ابداً وجه ابي الذي في السماوات»؟ (متى ١٨:١٠). اجل ، إن الملائكة ترى اللّه ، ولكن ليس كما هو ، بل بحسب ما في وسعها ؛ إذ يسوع ذاته يقول: «لا أن احداً رأى الآب ، بل مَن أتى من لدن الآب ، هو الذي رأى الآب» (يو٦:٤٦). ان الملائكة ترى إذن بحسب ما في وسعها ، ورؤساء الملائكة يرون بحسب ما في قدرتهم ، والعروش والسلاطين يرون احسن من السابقين ، ولكن لا كما ينبغي. والوحيد الذي يمكن أن يراه كما ينبغي ـ فيما عدا الابن ـ هو الروح القدس ، «لأنه يفحص كل شيء ويعرف حتى أعماق اللّه» (١كور٢:١٠). وكما أن الابن الوحيد يعرف الآب كما ينبغي ، كذلك يعرفه الروح القدس ؛ إذ يقول يسوع: «ما من أحد يعرف الآب الاّ الابن ، ومَن شاء الابن أن يكشف له» (متى١١:٢٧). انه يرى اللّه كما ينبغي ويكشف عنه مع الروح القدس ، وبالروح القدس ، بحسب قدرة كل واحد. وبما ان الابن الوحيد يشترك في لاهوت الآب مع الروح القدس ، فهو الذي وُلِدَ منذ الأزل بعيداً عن كل هوى (٢تيمو ١:٩) ، يعرف والده ويعرَف الآبُ مولوده. الملائكة لا يعرفونه (لأن الابن الوحيد يكشف عنه مع الروح القدس وبواسطته ، بحسب قدرة كل واحد كما قلنا ذلك). فلا يخجل الانسان إذن بالاعتراف بجهله. أنا اتكلّم الآن ، والجميع يتكلّمون كلّ في حينه ، أما كيفية الكلام فلا أعرفها. فمن أنّى لي أن أفسّر ذاك الذي وهبني الكلام نفسه؟ أنا الذي أملك روحاً لا أستطيع أن أصف كل مميزاتها ، فمن أنّى لي أن أفسّر ذلك الذي أعطاني النفس ؟

٧) ـ اللّه مساوٍ لذاته

يكفي تقوانا أن نعرف فقط أنّ لنا إلهاً ؛ وهذا الإله واحد كائن منذ الأزل ، يشبه ذاته على الدوام، وليس هناك أب غيره ، ولا أحد أقوى منه ، بحيث أنه لن تنازعه خليفةٌ مُلْكَهُ. إله له أسماء متعددة ، قدير لا يتغيّر ويتنوّع ؛ ولكنّه واحد هو هو ويُظهر طاقات لاهوته بألف كيفية. لا زيادة فيه ولا نقص ، بل هو مشابه لنفسه في كل شيء. فهو ليس عظيماً في الصلاح فقط مع بقائه قليل الحكمة ، ولكن قدرته متساوية في الحكمة والصلاح. انه لا يرى من جهة دون أخرى ، بل كلّه عين وكلّه أذن وكلّه ذهن. إنه ليس مثلنا يعرف شيئاً ويجهل آخر ، فمثل هذا القول تجديفٌ لا يليق بجوهر اللّه. إنه يعرف الكائنات قبل كيانها ، قدوس هو وقدير ، يفوق الكائنات كلها في السمو والعظمة والحكمة ؛ ونحن لا نستطيع أن نتكلم عن مبدئه وشكله ونوعه ، إذ يقول الكتاب: «وانتم لم تسمعوا صوته قط ولا رأيتم وجهه» (يو٥:٣٧). وهكذا قال موسى لآل اسرائيل: «احتفظوا لأنفسكم جداً انكم لم تروا صورةً ..» (تثنية٤:١٥). فاذا كنا لا نستطيع ان نتصوّر له شكلاً ، فكيف يستطيع ذهننا أن يدرك طبيعته؟

٨) ـ التصورات الخاطئة عن اللّه

تصوَّرَ الناسُ اللّهَ بصور مختلفة ، ولكنهم أخطأوا جميعاً: فحسبه البعض ناراً (حكمة١٣:٢) والبعض رَجلاً مجنّحاً. بحسب ما هو مكتوب ـ اذ أساؤوا فهم العبارة القائلة: ـ «وبظلّ جناحيك استرني» (مز١٦:٨) ، ناسين قول ربنا يسوع المسيح في حديثه الى اورشليم: «كم مرّة أردت أن أجمع بنيك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها فلم تريدوا» (متى ٢٣:٣٧) ؛ ذلك أنهم أخذوا معنى كلامه حرفيّاً فاعتبروا الذي لا يقع تحت حسٍّ انساناً. وتجرّأ آخرون على القول إنّ للّه سبعَ أعين بحسب ما هو مكتوب: «هذه هي سبع أعين الرب الجائلة في الأرض كلها» (زكريا٤:١٠). فلو كان للّه أعين سبع لكان نظره جزئيّاً لا يقع على كلّ شيء. ومثل هذا القول عن اللّه تجديف ، اذ من الواجب ان نعتقد ان اللّه كامل في كل شيء ، كما يعلّمنا يسوع المسيح بذلك : «إن أباكم الذي في السماوات هو كامل» (متى٥:٤٨): كامل في الرؤية ، كامل في القوّة ، كامل في العظمة ، كامل في علم المستقبل ، كامل في الصلاح ، كامل في العدل ، كامل في الرحمة. لا يحدّه مكان بل هو يخلق كل مكان ويوجد في كل مكان. عرشه السماء ، ولكنه يعلو عليها ، «والأرض موطىء قدميه» (اشعيا٦٦:١ ؛ أعمال٧:٤٩) ، وتمتدّ قوته الى ما تحت الأرض.

٩) ـ اللّه يفوق إدراك البشر

الواحد الأوحد يوجد في كل مكان ويرى كل شيء ، ويخلق كل شيء **بالمسيح** إذ «كلٌّ به كُوّن ، وبغيره ما كان شيء» (يو١:٣). انه ينبوع كل صلاح ونهر خيرات لا ينضب ، ونور أزلي يسطع على الدوام ، وقوّة لا تعرف الكلل في تحمّل اسقامنا وزلاّتنا بينما نحن عاجزون على حمل اسمه. «ألعلّك تدرك غور اللّه ، يقول أيوب: أم تبلغ الى قياس القدير؟» (أيوب١١:٧). فمن أنّى لك أن تدرك صانع الأشياء كلها؟ «ما لم تره عين ولا سمعت به أُذن ولا خطر على قلب بشر ما أعدّه اللّه للذين يحبّونه» (١كور٢:٩ ؛ اشعيا٦٤:٤). إن كان ما أعدّه اللّه يفوق أذهاننا، فكيف يمكننا أن ندرك مَن اعدّ هذه الاشياء لأذهاننا؟ «ما أبعد غور غنى اللّه وحكته وعلمه ، يقول بولس الرسول ، ما أعسر ادراك احكامه وتَبيّن طرقه!» (رومية١١ :٣٣).

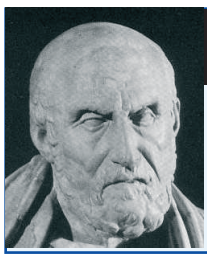

قال الفيلسوف اليوناني ابكتيتوس

لا تتطلّب صيرورة الاشياء كما ترضى ، بل إرضَ بكونها كما هي، تَعش عيشة هادئة ومطمئنة .

رقاد السيدة العذراء والدة الإله، وانتقالها الى السماء

تاريخ العيد:

عيد رقاد السيدة هو آخر عيد كبير في السنة الطقسية التي تنتهي في ٣١ آب، ويدشّنها عيد ميلاد العذراء في ٨ أيلول. ويرتكز هذا العيد، كباقي الأعياد المريمية (ماعدا البشارة) على معلومات استقتها الكنيسة من التقليد . وقد أُسس هذا العيد في أواخر القرن السادس أو أوائل القرن السابع (بين ٦١٠و ٦٤٩) بمناسبة الكنيسة التي دشنت في الجسمانية حيث دفنت مريم ووالديها كما جاء في التقليد. ثم انتشر في سائر أنحاء الإمبراطورية الروميّة. وانتقل إلى الغرب في عهد البابا ثيودورس الأول (٦٤٧-٦٤٩).

عظات شهيرة تشهد لهذا العيد، ألقيت في القرن الثامن، وقد ألقاها القديس جرمانوس بطريرك القسطنطينية (توفي ٨٣٣)، والقديس أندراوس الكريتي (توفي سنة ٧٤٠) والقديس يوحنا الدمشقي (توفي سنة ٧٥٣)، وغيرهم من الواعظين المشهورين في القرن السابع. وقد استعمل لهذا العيد عدة تسميات منها «عيد رقاد والدة الإله» أو «انتقال» أو «صعود» العذراء.

ولم يذكر الإنجيل شيئاً عن رقاد والدة الاله كما انه لم يسلط لنا الأضواء على تفاصيل حياتها أيضا. إنما ما يذكره القديس يوحنا الدمشقي في أوائل القرن الثامن في عظته الشهيرة حول رقاد السيدة كاف لتثبيت التراث الشفهي الذي شاع في الكنيسة منذ القرون الأولى ونقل إلينا في مخطوطة بعنوان «كتاب يوحنا اللاهوتي حول رقاد والدة الإله الكلية القداسة». وقد وجدت نسخ من هذه المخطوطة باللغات اليونانية والسريانية والعربية، وكلها تعود إلى أوائل القرن الرابع للميلاد. أما القديس الدمشقي الذي اشتهر بكتاباته المريمية، فأكد لنا أن المسيح بنفسه قد حضر إلى مضجع والدته المحاط بالرسل الذين استقدموا بالروح من أقاصي الأرض.

يقول التقليد الشفوي أيضا أن الرسل بعد العنصرة أخذوا يجتمعون معاً بانتظام وإذا اتكئوا للغذاء بعد الصلاة كانوا يتركون ما بينهم موضعاً خالياً ويضعون على الوسادة قطعة من الخبز الذي يأكلونه يدعونها جزء الرب. وإذا نهضوا بعد الغذاء وصلّوا وشكروا يأخذون تلك القطعة فيرفعونها قائلين «المجد لك يا إلهنا المجد لك المجد للآب والابن والروح القدس» وكانوا يردّدون، **المسيح قام**، لفترة تتراوح ما بين الفصح والصعود. أما من بعد الصعود فكانوا يهتّفون «عظيم أسم اللّه القدوس أيها الرب المسيح أعنا» وهكذا حتى أفترقوا للكرازة.

ولكي يبقى هذا التقليد حياً هكذا كان يفعل كل من الرسل حيثما وجد، إلى أن اجتمعوا مقبلين بالسحب ليحضروا احتضار السيدة الذي لم يكن في الواقع إلا انتقالاً. أما في اليوم الثالث من دفنها وإذ كان الرسل مجتمعين كعادتهم وفيما هم يرفعون جزء الرب قائلين:«عجيب أسم..» توقفوا واندهلوا ! إذ يا له من عجب مستغرب

رقاد والدة الإله ـ كنيسة خوره للروم الأرثوذكس في مدينة القسطنطينيّة

السماء فُتحت وظهرت العذراء بجسمها الطاهر ملتحفة بسحابة من النور وملائكة ظهروا متسربلين النور محيطين بها في الجو فقالت: «السلام لكم افرحوا معي مدى الأيام..» فاندهش الرسل وهتفوا قائلين عوض «أيها الرب يسوع المسيح أعنا» ، «يا والدة الإله الكلية القداسة أعينينا» .حينئذ ذهبوا إلى القبر وإذ لم يجدوا جسدها تيقنوا من حقيقة قيامتها من بين الأموات حية بجسدها نظير أبنها منطلقة إلى السماوات.

قد يتخيل البعض أن هذه الرواية خيالية بعيدة عن الحقيقة والموضوعية، ولكن من يقرأ الإنجيل بإيمان ويعجب بآياته لا يستغرب تقليداً كهذا بل هو تتمة منطقية لحياة الكلية القداسة وتتويج طبيعي لحياة طاهرة كحياة مريم، التي اتخذ السيّد كلمة اللّه جسداً من جسدها. أليس هو القائل «من آمن بي وإن مات فسيحيا» فكيف بالحري من جسّدت الإيمان بشخصها وحوت بأحشائها سيد العالم وخالقه؟..

القديس يوحنا الدمشقي يهتف بلغة الإيمان في عظته الشهيرة حول رقاد مريم: « اليوم تعبر من الأرض إلى السماء تلك السلم التي نزل عليها العلي» ، وهنا يشير إلى سلم يعقوب في حلمه كما ورد في: (تك ٢٨: ١٠-١٩). هذا القبر أقدس من قدس الأقداس

حيث حوى لا الظلال والرموز بل الحقيقة عينها..«ارفع نظرك يا شعب اللّه وشاهد خيمة إله الصباؤوت في الجثمانية وقد حضر الرسل إليها ودفنوا الجسد مبدأ الحياة الذي كان قد حوى أبن اللّه..»

أيقونة رقاد السيدة أو انتقالها:

«أيها الرسل اجتمعوا من الأقطار إلى ههنا في قرية الجثمانية واضجعوا جسدي وأنت تقبل روحي يا ابني والهي» هذه الترتيلة صورة عن الخطوط العريضة التي اتّبعها رسامو الأيقونات لرسم أيقونة الرقاد. هناك أيقونة في دير القديسة كاترينا في صحراء سيناء (٢٥سم x سم ٣٨) رائعة من حيث الفن التصويري، يعود تأليفها إلى القرن الثاني عشر، واضحة جداً في تصميمها الذي لا يتغير في كافة أنحاء البلدان الأرثوذكسية. وكلنا نعلم أن لأيقونات هذا الدير قيمة منفردة، إذ لم تتأثر بموجة الفتك بالأيقونات التي سادت في القرن الثامن. المشهد هو نفسه في كل الأيقونات التي تؤدي معنى الانتقال: العذراء مريم منطرحة على فراش الموت، جسدها منطوٍ أفقياً وكأنه يكاد ينقلب لتوازنه غير الثابت. وهذا يفسر بسبب عدم وجود العمق في فن الأيقونات، كل شيء رسم سطحياً إذ لا وجود لبعد ثالث كما في اللوحات العادية. فجسد مريم منحن عاكف على الناظر بكثير من الرقة. أما المسيح فهو منتصب في وسط الأيقونة، جسده في اكثر الأحيان محاط بهالة بهية من النور الأزلي، يحمل مريم في يديه مقمطة بلفائف كطفل صغير وكأنها تولد في السماء على يدي ولدها وسيدها.

من ينظر إلى الأيقونة من بعيد يتراءى له الخطان اللذان يؤلفان مريم ويسوع وكأنهما خطّا صليب السيد: فالصليب منتصب أبداً في حياة الكنيسة. أما الرسل فيحيطون بجسد مريم بشكل نصف دائرة، نلمح بوضوح أربعة منهم: بطرس منحن فوق رأس مريم وعلائم الحزن والتأمل ظاهرة على وجهه، بولس منعكف عند قدميها منذهل، يوحنا التلميذ الحبيب يُقبّل نعشها بحزن عميق، واما اندراوس فهو واقف وراء بطرس. يوجد عدة أساقفة في اللوحة يتميزون بلباسهم الكنسي. أما الملائكة فيشتركون بفرح بهذا المشهد الحزين فيضيفون عليه من أمجاد السموات.

أما روسيا في القرون الوسطى عندما كانت مدينة كييف عاصمتها، فكانت تعتبر عيد رقاد السيدة عيداً وطنياً وتضع نفسها تحت شفاعة العذراء مريم وحمايتها إزاء الغزوات الخارجية، ولذلك اشتهر الفن الروسي في أداء لوحات رقاد العذراء كما تميزت مدينة نوفغورود برسّاميها فكان التأليف نيّراً ساطعاً.

معنى العيد:

يوضح لنا الأب جيله في كتابه عن دورة السنة الطقسية أن نشأة هذا العيد غامضة في العالم المسيحي. ففي فلسطين كان يُقام العيد في ١٥ آب ما قبل القرن السادس. أما في القرن السابع فقد ثبّت الإمبراطور الرّومي البيزنطي موريس تاريخ ١٥ آب بطريقة نهائية. انه من أهم الأعياد الكنيسة وتُحَضِّر الكنيسة المؤمنين له بصوم يدوم أربعة عشر يوماً نصلي فيه قانون البراكليسي، أي الابتهال إلى العذراء يومياً. وهو أهم أعياد السيدة. القراءات التي تتلى فيه هي نفسها التي تتلى في ميلاد السيدة ولا تنوه قطعاً عن رقاد السيدة. أما المعنى الروحي للعيد فيتجلى في تراتيل صلاة الغروب والسحرية ولكن في الواقع هناك عدة معان تنبعث من الصلوات المختصة بالرقاد:

المعنى الأول:

العيد ليس فقط احتفالا بولادة مريم في السماء كما تشير إليه الأيقونة بل عيد انتقال مريم بالجسد إلى السماء، والنصوص التي تشير إلى ذلك عديدة في طقوسنا «أن والدة الإله لا تغفل في الشفاعات...لم يضبطها قبر ولا موت»... « لانك انتقلت إلى الحياة بما انك أم الحياة»... وبالتالي جسد مريم الكلي الطهر لم يعرف الفساد الناتج عن الموت وتفككه بل انتقل بواسطة الملائكة إلى السماء. أما الكنيسة فلم تفرض هذا التعليم على المؤمنين كعقيدة، ولكن ضمير الكنيسة الحي عبر الأجيال يعتبر **نفي** انتقال السيدة إلى السماء **كتجديف أكيد**. مريم هي تلك المخلوقة المنفردة في النقاوة والطهارة الجليلة في سرّ صمتها، المتسامية في عمق آلامها، التي تجاوزت حدود الطبيعة وطارت إلى اقرب حد يستطيع أن يصل إليه إنسان، فتعالت عن الملائكة وتألهت بتواضعها. ولذلك مجّدها ابنها بجسدها ونقله إليه. وهكذا تعيد الكنيسة بمريم أول قيامة قبل القيامة العامة.

المعنى الثاني:

«الموت صار عربونا للحياة...» العيد هو عيد كل الطبيعة الإنسانية لان بمريم توصلت الجبلة الترابية النتنة إلى هدفها الأسمى وسمح لها بالرجاء... رقاد العذراء يُمثل لنا المجد الذي يمكن أن نصير إليه إذا ما أثمرت النعمة فينا بفعل الروح القدس. ومهما يكن من شأن الحدث التاريخي فالمهم بالنسبة إلينا أن الكنيسة تركز في قراءاتها على المعنى الروحي للحدث وقد اوجزه لنا بولس الرسول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: «كما لبسنا صورة الترابي سنلبس صورة السماوي.. إذ نحن أيضا سنتغير» (١كور ١٥:٤٩-٥٢). لا شك أن لمريم وضعاً خاصاً وامتيازات خاصة ولكن لنا بها شفيعة إذ لم تهملنا برقادها، ممهدة لنا الطريق إلى السماء، واضعة نصب أعيننا إمكانيات الطبيعة الكامنة في طياتها المنتظرة ندى الروح القدس لكي تنفتح وتتدفق حياة القداسة فينا ، بصلوات وشفاعات والدة الإله العذراء مريم ، أيها الرب يسوع المسيح إرحمنا وخلّصنا ، آمين.

تعزيز الثقة باللّه

إن كنتَ ترجو اللّه فاقنَع به ... فَعنده الفضلُ الكثيرُ البشيرْ

مَن ذا الذي تلزمُه فاقةٌ ... وذُخرُهُ اللّهُ العليُّ الكبيرْ

الإستعداد للدينونة

إذا أنتَ لم ترحل بزادٍ من التقى ... ولاقيتَ بعدَ الموتِ مَن قد تزوَّدا

نَدِمْتَ على أنْ لا تكون كَمثلِه ... وأنَّكَ لم ترصدْ لِما كانَ أرْصَدا

الأرثوذكسية
قانون إيمان لكل العصور

(١٤)

الأب: أنتوني م. كونياريس

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

على صورة اللـّه:

الكلمة «صورة» تعني أيقونة أو شبه ، والإنسان إذ خُلق على صورة اللّه فهو صورة حيّة للّه، وإن كان ليس بالضبط مثل اللّه ، ولكنه شيء مشابهٌ للّه. لقد أُنعمَ عليه بقدرات إلهيّة مختلفة مؤكَّدَة ومُحدَّدة ، له قوّة التفكير والعقل.

الإنسان هو الفَريد بين جميع الخلائق الذي يمكنه أن يكلِّم اللّه، الذي له القدرة أن يستقبل إعلانات اللّه وأن يعمل بمسؤليّة كاملة في طاعة للّه. إن له علاقة خاصّة معه ، أنا وأنتَ يمكننا أن نكلِّم اللّه كشخص إلى شخص ، هذه العلاقة تسمو بالإنسان عن مستوى الحيوانات. وكما أن اللّه هو سيِّد الكون ، هكذا الإنسان سيِّد العالَم المخلوق ، إنَّه ملكها المتوَّج بالمجد والكرامة. وكما أن اللّه خالق ، هكذا أُعطيَ للإنسان أن يخلق كل شيء من أوَّل مصايد البعوض إلى الكومبيوتر المعقَّد. إنَّ حافز الخَلق قد زرعه اللّه في الإنسان ، وهكذا فإنّ جزءاً من صورة اللّه موجودة فينا. وكما أن اللّه يتمتّع بالحريّة هكذا أيضاً الإنسان. الفارق بين الإنسان والحيوان هو الفارق بين كائن حُرّ يملك أن يُحدِّد ويعمل والآخر لا يملك.

الحريَّة عطيَّة إلهية ، إنها تكوِّن جزءاً من صورة اللّه فينا. وكما أن اللّه يُحب ، هكذا خُلقَ الإنسان وفي مقدرته أن يُحب خالقه وأن يكون له معه صداقة ليصير مثله.

إننا نعجَب ونندهش من مجد اللّه في روعة وبهاء شروق الشمس وغروبها ، ولكن اللّه خَلَعَ على الإنسان شيئاً أعظم مما هو موجود في أي شيء آخر في الطبيعة. اللّه خَتَمَنَا بصورته الإلهيّة وزوَّدنا بمَلَكَة التفكير وبقوَّة التواصُل ، بسلطان السيادة على الطبيعة ، بقوَّة الحريّة ، بقوّة التخليق ، بالقدرة على الحبّ وبمزيَّة مرافقته.

وكما أن الإنسان يعكس نفسه على ما يصنعه مثلما يعكس الفنان فنَّه على لوحاته ، والمؤلّف على كتاباته، والمعماري على مبانيه ، هكذا يعكس اللّه نفسه أفضل من كل شيء علينا. اللّه في الحقيقة هو أبونا وفي الحقيقة نحن أولاده ، كل منّا يحمل صورة الأعظم. كيف يمكننا على الإطلاق أن ننسى هذه الكرامة العظيمة التي مَنَّ اللّه بها علينا ؟

توجَد زُهريّة (مزهريّة) قُدِّرت قيمتها بثمن باهظ ، وذلك لأن ملكاً شهيراً وضع أصابعه مصادفة من قَبل أن تدخل الفرن. إن لمسة الملك لَها ، عَزَّزَ قيمتها جداً. إنها ليست لَمسة الملك فقط هي التي نحملها ، ولكن صورته ذاتها !

دعنا نرى الآن بماذا يُخبرنا الكتاب أكثر من هذا عن تُحفة اللّه الرائعة: الإنسان.

سفر المزامير:

توجَد في سفر المزامير رَنَّة تتكرَّر وتتردَّد باستمرار ، وهي أن اللّه يعرف الإنسان ، يعرفه جيّداً ، ويعرفه تماماً. في المزمور ١٣٨ يتأمّل المرنِّم في أن اللّه يعرفه قبل أن يُشَكَّل في البطن ، ويعرف أفكاره قبل أن تُصاغ وتُنطَق ، يعرف دوافعه قبل أن تصير أعمالاً تُنَفَّذ ، يعرف أين هو وأين سوف يذهب ، فهو دائماً حاضر أمامه ، ومن هنا تأتي كلمة الاعتراف والعبادة.

يقول المرنِّم: «عجيبة هذه المعرفة فوقي ، ارتَفَعَت ، لا أستطيع بلوغها». لم يفكِّر المرنّم إطلاقاً عن نفسه أنه مخلوق عن طريق الصُّدفة أو أنه حَدَثٌ كَوْنيّ ، إن اللّه ساهر يقظ عليه ، كما يسهر الأب على ابنه. إنه موضوع معرفة اللّه واهتمامه.

مغزى إبراهيم:

عندما تكلَّم اللّه مع إبراهيم ، توقَّف عن أن يكون راعياً بدويّاً غير معروف ، يجول من واحة إلى أُخرى. إنَّه أصبح كائناً جديداً. لقد بدأ يعيش مثل مَن اكتشف ذاته ، كشخص يتكلّم اللّه معه ، كمن ينتظر اللّه منه استجابة. هذا الأمر ملأ كيان إبراهيم وحياته. عندما يتكلَّم اللّه مع إنسان ، عندئذ يصبح هذا الإنسان إنساناً ، إنه يتوقَّف عن أن يكون حُثالة على وجه الأرض ويصير نَفساً حيَّة ، كائناً قادراً أن يخاطبه اللّه وهو يستجيب له.

من أقوال تولستوي لحفظ الشباب والصحة

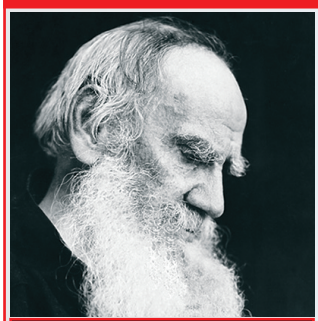

ليو تولستوي
من عمالقة الروائيين الروس
ومن أعمدة الأدب الروسي.

١) انهض باكراً وابدأ في عملك لئلا يأخذ منك الكسل فيعذّبك طول يومك.

٢) اعمل بتأنّي وهدوءٍ لئلا تُتعب انتباهك فتُوَلِّد لفؤادك اضطراباً.

٣) اهرب من البطالة فإنّ بداءتها حلاوة وعاقبتها مرارة.

٤) اعمل بنشاط ولا تدع دقيقة واحدة تذهب سدىً بلا فائدة.

النخيل

النخل المذكور فى الكتاب المقدس هو نخل البلح، إذ أن نخيل جوز الهند لا ينمو في بلاد الشرق الأوسط . وترتفع النخلة أحياناً إلى نحو مائة قدم أو أكثر ، ويتوجها إكليل ضخم من السعف . وهي شجرة معمرة قد تعيش مائة أو مائة وخمسين سنة ، كما أن جذرها يتعمق في الأرض حتى يصل إلى المياه الجوفية ، وهذا ما يساعدها على النمو حتى في قلب الصحراء. وكان اسم «ثامار» (نخلة) كثيراً ما يُطلق على الفتيات ، على أمل أن يكُنَّ مثل النخلة في جمالها واستقامتها وطولها الفارع (تك ٦:٣٨ و٢صم١٣:١و١٤:٢٧) .

والنخلة شاهقة الارتفاع عادة ، دائمة الاخضرار معمّرة ، لذلك يقول المرنم : «الصديق كالنخلة يزهو» (مز٩٢:١٢). ويقول عريس النشيد ، وصفاً لاعتدال قامة عروسه وجمالها : «قامتك هذه شبيهة بالنخلة وثدياك بالعناقيد» (نش٧:٧).

والنخلة من أنفع الأشجار للإنسان ، فهو يستظل بظلّها في هجير الصحراء ، كما أن لكل جزء منها فائدته ، فثمار النخلة (التمر أو البلح) غذاء جيد وفاكهة لذيذة ، وبخاصة لأن التمر يمكن حفظه مدة طويلة . ومن بعض أنواعه يمكن الحصول على نوع من العسل (الدبس) ، والأرجح أن الإشارة فى الكتاب المقدس إلى العسل (تك٤٣:١١ ، ١صم١٤:٢٥، مز١٨:١٠) هي – في الغالب – إلى عسل البلح ، وليس إلى عسل النحل . ويمكن تخمير البلح وتحويله إلى نوع من الخمر، وهو المعروف «بعرقي البلح». ويظن بعض العلماء أنه المشار إليه في الكتاب المقدس «بالمسكر» (لا١٠:٩، عد٦: 3، أم٢٠:١.. الخ). ويقول هيرودوت (أبو التاريخ) إن النخلة تنتج خبزاً وخمراً وعسلاً . ويقول العرب إن للنخلة فوائد بعدد أيام السنة ، فمنها يستخرج العسل والسكر وبعض مواد الدباغة . ومن أليافها القوية تصنع السلال والجوالق وألوان من السجاد والحبال. ومن أغصانها تصنع الأقفاص والسقوف والسياجات وغيرها . بل قد تصنع القلائد من نوى البلح ، كما يقدم النوى علفاً للبهائم وبخاصة الجمال ، سواء كما هو أو مطحوناً.

وقد جعل وجود النخيل وعيون الماء فى إيليم ، منها مكاناً للراحة والاستجمام للشعب في برية سيناء (خر١٥ :٢٧ ، عد ٣٣: ٩) . كما أن «أيلة» ـ على الطرف الشمالى لخليج العقبة ـ ربما أطلق عليها هذا الاسم لوجود أشجار النخيل حولها (تث٢:٨، ١مل٩:٢٦ ..الخ). ومنذ العصور القديمة نمت أشجار النخيل بكثرة حول أريحا حتى سميت «مدينة النخل»(تث٣٤:٣، قض١:١٦،٢أخ٢٨: ١٥) .

وكان سعف النخل يستخدم في الاحتفال بعيد المظـــال (لا ٢٣ :٤٠، نح ٨:١٨)، وقد زخرفت جميع حيطان هيكل سليمان «بنقر كروبيم ونخيل وبراعم زهور من داخل ومن خارج» (١مل٦:٢٩) ، وكذلك نقش مصراعا الباب (١مل٦: ٣٦) . كما سيحدث نفس الأمر في الهيكل المذكور في نبوة حزقيال (حز٤٠:٣٧، ٤١:١٨ – ٢٦) .

والنخلة أيضاً شجرة ناسكة، تمثّل الإحتمال، القناعة، والرضى بالقليل ، لذلك يمكن أن تسكن بالبراري ، والقفار ، وتحيا إلى جوار الآباء النسّاك والسوّاح ، وتنمو في الصحراء، وتحتمل الحرّ والعطش، وقد تترك فترة طويلة بدون ريّ ، فتبقى وتحتمل ، فهي مثالٌ للصبر، وبهذا كانت أشهر أشجار البريّة وأقواها، وهكذا كانت تمثّل طعام بعض الآباء النساك، إذ قيل عن شجرة نخيل كانت تحمل ١٢ قطفاً من البلح ، كل قطف كان يكفي الناسك الساكن قربها شهراً كاملاً، فكانت تؤمن له الغذاء سنة كاملة.

إنّ النخلة بصفاتها الجميلة: والتي تشمل على القوّة ، الثبات ، الصبر ، الإحتمال ، العطاء ، الإستقامة ، النموّ الى أعلى ، الثمار المفيدة، القناعة والرضى بالقليل ، وكثيرٌ غيرها ، هذه الصفات هي مثال حيّ للمؤمن ، الذي يأخذ من النخيل وميزاته قدوة في تقدمّه الروحي.

وها الشاعر يصدح متعجباً من روعة وجمال النخيل فيقول:

كن كالنخيل عن الأحقاد مرتفعاً
بالطوبِ يُرمَى ، فيرمي أطيب الثمر

وسيظل أحد السعف يذكرنا بالدخول الظافر للرب يسوع المسيح إلى أورشليم حين استقبلته الجموع رافعة سعوف النخيل للترحيب به ، هاتفين : «مبارك الآتى باسم الرب» (يو١٢: ١٢و١٣) ، فهو رمز للانتصار . وقد رأى يوحنا في رؤياه فى جزيرة بطمس ، جمعاً كثيراً لم يستطع أحد أن يعده من كل الأمم والشعوب والألسنة واقفين أمام العرش وأمام الخروف ، متســـربلين بثياب بيض ، وفي أيديهم سعف النخل ، وهم يصرخون بصوت عظيم ، قائلين : «الخلاص لإلهنا الجالس على العرشُ وللخروف .. » (رؤ ٧ :٩–١٢) .

العهد القديم في الكتاب المقدّس (٥٦)

الفصل السادس:

المملكة المتحدة ـ (١٠٣٠-٩٣١ ق.م.)

سقوط شاول وقيام داود (تتمة):

وللمرة الثانية عاد الزيفيون ليخبروا شاول عن مكان داود (١صم٢٦)، وهكذا أعدّوا الساحة لمواجهة نهائية بين الإثنين ، فأقام الملك وجيشه معسكره على حافة برية زيف ليوقع بداود ، ولكن للمرة الثانية يقع الملك في يد داود ، وكـاد واحد من أعوان داود يجهز على شاول لولا أن منعه داود، وبعد ذلك كفّ الملك عن مطاردة داود ، وعاد كلّ منهما إلى مكانه وأنشد داود (مز ٥٣) ، ولأن داود كان يعلم أن شاول متقلب المزاج وسريع الإنفعال ، فكّر في طريق آخر لنجاته ، فطلب الأمان في جت معقل الفلسطينيين (صم٢٧) ، وقد فعل سابقاً ذلك ، ولكن هذه المرّة كان معه جيشه الذي ضمّ ستمائة محارب مدرّب على القتال ، وطلب من **أخيش** أن يمنحه مدينة فلسطينية، وكان طلبه من مركز القوّة ، لذا قَبِلَ **أخيش** وأعطاه صقلع في النقب على أن يكون حَليفاً معه في حروبه ، وأغار داود على البلاد المحيطة بصقلع وجت وسلب منها البقر والدواب والثياب وأخذ أخيش نصيبه من الغنيمة واستراحت نفسه من جهة داود إذ ظنّ أنه حارب ضدّ إسرائيل ، ولكن الحقيقة أن داود أغار على أعداء إسرائيل لأن غزواته كانت في عمق النقب ضدّ العمالقة والشعوب الأخرى، وكانت غزوات دامية حرم فيها كل رجل وإمرأة.

وبعد ستة عشر شهر لعب داود لعبته المحفوفة بالمخاطر مع الفلسطينيين ، ففي قاعدة جبال يهوذا وعلى حافة النقب أراد أخيش أن يحارب أعداء الفلسطينيين بواسطة داود وهذا أظهر أن نزول داود إلى جت كان خطأ عظيماً، وعندما جمع الفلسطينيون قوّاتهم وإستعدّوا لمعركة مع إسرائيل ، ضاقت الأمور واستحكم الحرج حول داود فأين المفرّ ، فإن هو رفض الإنضمام إلى الفلسطينيين انكشفت لعبة الخداع ، وإن إنضَمَّ إليهم هان عليه أن يخون شعبه (١صم٢٨:٢).

وللمرة الثانية تتدخل النعمة الإلهيّة لإنقاذه من المأزق مع الفلسطينيين إذ اعترض ملوك المدن الأربع الأخرى التي للفلسطينيين فقد تشكّكوا في أمر داود، ولم يستريحوا لوجوده وسط الحرب ، ولم تفلح وساطة أخيش ملك جت لأنّهم خافوا أن ينقلب داود بقوته عليهم أثناء المعركة، وبهذا أفلت داود من تلك الضائقة وصعد الفلسطينيون شمالاً إلى يزرعيل لمحاربة شاول ، أما داود فرجع برجاله إلى صقلع (١صم٢٩).

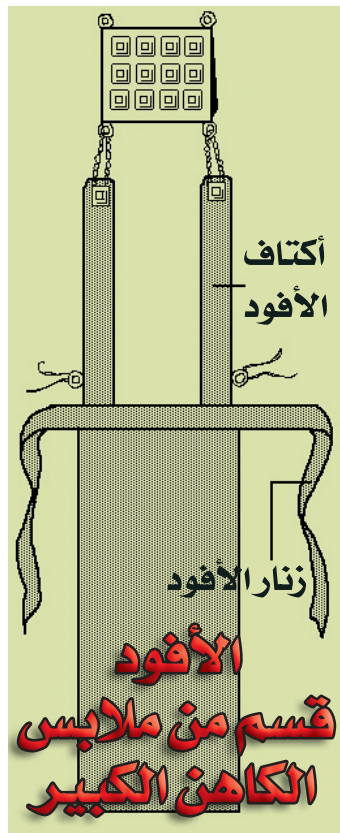

وعندما عاد داود ورجاله إلى صقلع وجدوا أن العمالقة هاجموا المدينة وَسَبوا كل سكّانها وأحرقوها بالنّـار وسلبوا كل ما فيها إنتقاماً من غارة داود عليهم ، وكان أبيثار الكاهن مع داود لأنّه فرّ بعد أن قتل شاول أباه أخيمالك (١صم٢٢:٢٠)، وبعد طلب مشورة الرب بواسطة **الأفود** (أفود: جزء من اللباس الكهنوتي ، أُسيء استعماله عندما كان يُعبَد كصنم.) ، تشجّع داود في تتبّع الغزاة وانتصر عليهم في المعركة ، وانتقم منهم واسترجع النساء والأطفال واستردّ الأسلاب، وكانت الغنيمة عظيمة من البقر والغنم التي ساقها أمامه في عودته إلى صقلع منتصراً. وإذ أحسّ داود أنه على مقربة من أن يصير ملكاً لإسرائيل أرسل من الغنيمة هدية إلى شيوخ يهوذا لينال ثقتهم فيه ، ولكي يشاركوه في غنيمة أعداء إسرائيل بركة لهم من الربّ.

الأم استاذ الأساتذة الألى

شغلت مآثرهم مدى الآفاق

قال نابليون على سبيل الملاحظة اثناء محادثته مع مدام كامبان : يلوح لي ان الطرق المتبعة حتى الآن لتعليم الناشئة لم تَفِ بالغرض المقصود ،فما الذي يعوزها حتى ترقَى بالأمّة الىَ مدارج الرقيّ الصحيح.

فأجابت مدام كامبان على الفور: (الأمهات) ، فقال الامبراطور وقد أخذته الدهشة من جوابها: يا لها من حكمة بالغة وطريقة وافية ، في كلمة واحدة !.

نابليون بونابرت

المربية والكاتبة ، مدام كامبان

نابليون والجندي

كان الامبراطور نابليون يستعرض جيشه في احد الأيام ، وحدث أثناء الاستعراض ان سقط زمام الحصان من يده ، سقط على عنق الحصان ، فكانت هذه مفاجأة بالنسبة للحيوان القوي فدفعته للجري ، فمالت المرشحة (البرذعة) **وكاد** الامبراطور يسقط أمام جنوده لولا ان عسكريا برتبة نفر أسرع من بين الصفوف ووقف في طريق الحصان المندفع وأمسك بالمرشحة وأصلح من مقعد الامبراطور ، ولولا ذلك لسقط الامبراطور وترك الأثر السيء في نفوس جنوده المصطفة للاستعراض.

نظر نابليون الى الجندي الذي خاطر بنفسه ووقف في طريق الحصان المندفع وقال له وهو يتناول الزمام (أشكرك يا كابتن) فرد الجندي على هذا الشكر بالتحية العسكرية وقال (كابتن في أي وحدة يا سيدي الامبراطور ؟) فسُرّ الامبراطور من ثقة الجندي وقال (كابتن في وحدة الحرس الخاص بالامبراطور) وَحَيَّاهُ وانصرف .

أنزل الجندي بندقته عن كتفه وترك رفاقه الأنفار وذهب الى فريق الضباط ووقف بجانبهم باعتباره واحداً منهم ، وهناك سأله أحد الضباط بشيء من التعالي (لماذا تقف هنا ايها النفر بجانب الضباط ؟) فكان جواب الجندي (أنا رئيس فرقة الحرس الخاص بالامبراطور) وتعجب ضابط آخر من هذا الرد وقال ساخراً (أنت رئيس فرقة! ، من قال ذلك ؟) فقال الجندي مشيراً الى الامبراطور الواقف عن بعد (هذا الرجل) .

يا ترى ماذا نسمي هذا الجندي الذي أشاع عن نفسه بأنه أصبح رئيساً وليس نفراً ، ماذا نقول عنه ؟ إننا لا نجد ما نقوله عنه سوى أنه **وثق او صدق او آمن بقول الامبراطور** ، ولأنه وثق بقوله نراه يتصرف التصرف الطبيعي الذي يتصرفه أي انسان ينال **رتبة كابتن** ، ولم يبق مع فريقه حتى يحس انه أصبح فعلاً رئيساً للفرقة ، بل صدّق بمجرد ان سمع الخبر وتصرف كما يجب ان يتصرف ، أي انه صدق اولاً ، ثم جاءه الاحساس بمركزه الجديد ثانياً ، انه لم ينظر الى ثيابه العادية ثياب النفر ويقول طالما أنا لابس هذا اللبس العادي فأنا لست رئيساً لأن منظري لا يدل على مركزي الجديد ، لم يقل هكذا ، بل قال ، ما دام الامبراطور قال انا كابتن ، وهو الرجل له وحده حق هذا الكلام ، اذاً أنا كابتن حتى ولو لم يكن مظهري يدل على اني كابتن . إني اثق في قول الامبراطور . مرت بضع ساعات قليلة ، ونوديَ الجنديّ ليلبس اللبس الجديد ويحمل على كتفه وعلى صدره الإشَارات التي تدل على انه رئيس لفرقة الحرس الخاص .

هذا هو الطريق الذي يتحول به **الخاطىء** الى **قديس** ، فيصير إبناً لله بعد ان كان **عبداً للخطية** ، ولا يحصل الخاطئ على هذه البنوّية لأنه صلى كثيراً او لأنه عاش عيشة طاهرة مقدسة ، او لأنه عمل اعمالاً صالحة مجيدة ، كلا كلا كلا ، فإن الصلوات والعيشة الطاهرة والأعمال الصالحة كل هذه تأتي بعد الحصول على التحول من خاطئ الى قديس ، من عبد الى ابن للّه ،وهذا التحول يتم في القلب اولاً كما حدث مع الجندي الذي صار رئيساً بمجرد ان سماه الامبراطور (كابتن) وتم هذا التحول في القلب اولاً دون ان يلمس المظهر الخارجي ، فقد سبقت الرئاسة ثياب الرئاسة ، ان كلمة اللّه تسلك نفس الطريق ،لأنها تعد الخاطئ الذي يثق بيسوع بأنه صار قديساً ، او أنه صار ابناً للّه غير مُعرّض لعقاب الخطايا التي اقترفها في حياته ، ويتجلى هذا الوعد في قول الرسول: « كل من يؤمن ان يسوع هو المسيح فقد وُلد من اللّه» (١يو٥:١) ، وُلد ولادة ثانية روحية التي تعطي له الحق بأنه قد صار ابناً للّه .

ان كلمة اللّه ثابتة كاللّه ذاته ، فإذا آمن انسان بما تقوله الكلمة الإلهية ، يتم له ما وعد اللّه به ، هذا بغض النظر عن الشعور او الاحساس ، فسواء شعر الانسان بأنه قديس او لم يشعر ،فهذا لا يغير الوعد ، واكثر من هذا ، ان الشعور او الاحساس لا يأتي اولاً ، بل يأتي ثانياً بعد ان يدخل الإيمان الى القلب . أي اني أؤمن اولاً بأني صرت إبناً لله بناء على وعد اللّه ، ومعنى اني ابن للّه انه اصبح لي حياة ابدية ، وبعد هذا الإيمان يأتي الشعور والاحساس .

ان كنت آمنت ، اذاً انت ابن للّه ، وان كنت آمنت فلك حياة ابدية ، هذا وعد اللّه المنزه عن الكذب ، ثم تأتي الخطوة الثانية وهي ان ارى بعيني رأسي والمس بأصابع يدي التغيير الذي سيعمله الإيمان الذي دخل قلبي ،لأن الوحي الذي قال : «إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة . الأشياء العتيقة قد صار جديداً .» (٢كو٥:١٧) .

ان آمنت سترى برهان ايمانك في حياتك الشخصية ، اما اذا بقيت في حياة الشرّ رغم انّك تقول انّك آمنت ، فاسمح لي ان اقول لك ان ايمانك هذا ايمان ميت، ولا اقول هذا من عندي بل من كلمة اللّه التي تقول في رسالة القديس يعقوب «أن الايمان إن لم يكن له اعمال ميت في ذاته». (يعقوب ٢:١٧) ،فالايمان الحقيقي يغيّر صاحبه كثقة الجندي بوعد الامبراطور التي حوّلته وأتت به الى صف الضباط ليلبس ثياب الرؤساء . فالجهاد ضدّ الخطيئة لا يتوقّف حتى ساعة الإنتقال من هذا العالم، فعلينا التعاضد المستمر مع النعمة الإلهيّة. «من أجل ذلك احملوا سلاح اللّه الكامل لكي تقدروا أن تقاوموا في اليوم الشرير، وبعد أن تُتَمِّموا كُلَّ شيء أن تثبتوا. فاثبتوا مُنطقين أحقائكم بالحقّ ولابسين درع البرّ ، وحاذينَ أرجلكم باستعداد إنجيل السلام حاملين فوق الكل ترس الإيمان، الذي به تقدرون أن تُطفئوا جميع سهام الشرّير الملتهبة. وخذوا خوذة الخلاص ، وسيف الروح الذي هو كلمة اللّه» (اف٦:١٣-١٧).

من أقوال القديس يوحنا الدمشقي عن رقاد العذراء مريم.

موتٌ وقيامة

وماذا {أقول} إنها ماتت إذاً {من هي} ينبوع الحياة وأمّ ربّي! نعم، كان يجب أن يعود إلى الأرض الكائن المصنوع من الأرض، وأن يرتقي إلى السماء بهذه الطريق مقتبلاً من الأرض عطيّة حياة نقيّة بملىء بعد أن استودعها جسده. وكما الذهب، كانَ يجب على {هذا} الجسد أن ينهض من القبر حالما طرح ثقَل الميتوتة الأرضي الكثيف وصار في بوتقة الموت الطاهر غير الفاسد وارتدى الخلود.